الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي – تبسة -
كلية الآداب واللغات
قسـم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

الضمير "نحن" في القرآن الكريم
- دراسة نحوية دلالية -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، نظام ل م د
- تخصص: لسانيات عربية -

إعداد الطالبتين:
- سعاد روابحية
- حكيمة مباركية

إشراف الأستاذ:
- نور الدين بعلوج

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
يوسف قسوم	أستاذا محاضرا (أ)	رئيسا
نور الدين بعلوج	أستاذا مساعدا (ب)	مشرفا ومقررا
سعاد عطاالله	أستاذا محاضرا (أ)	مساعدا

السنة الجامعية: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

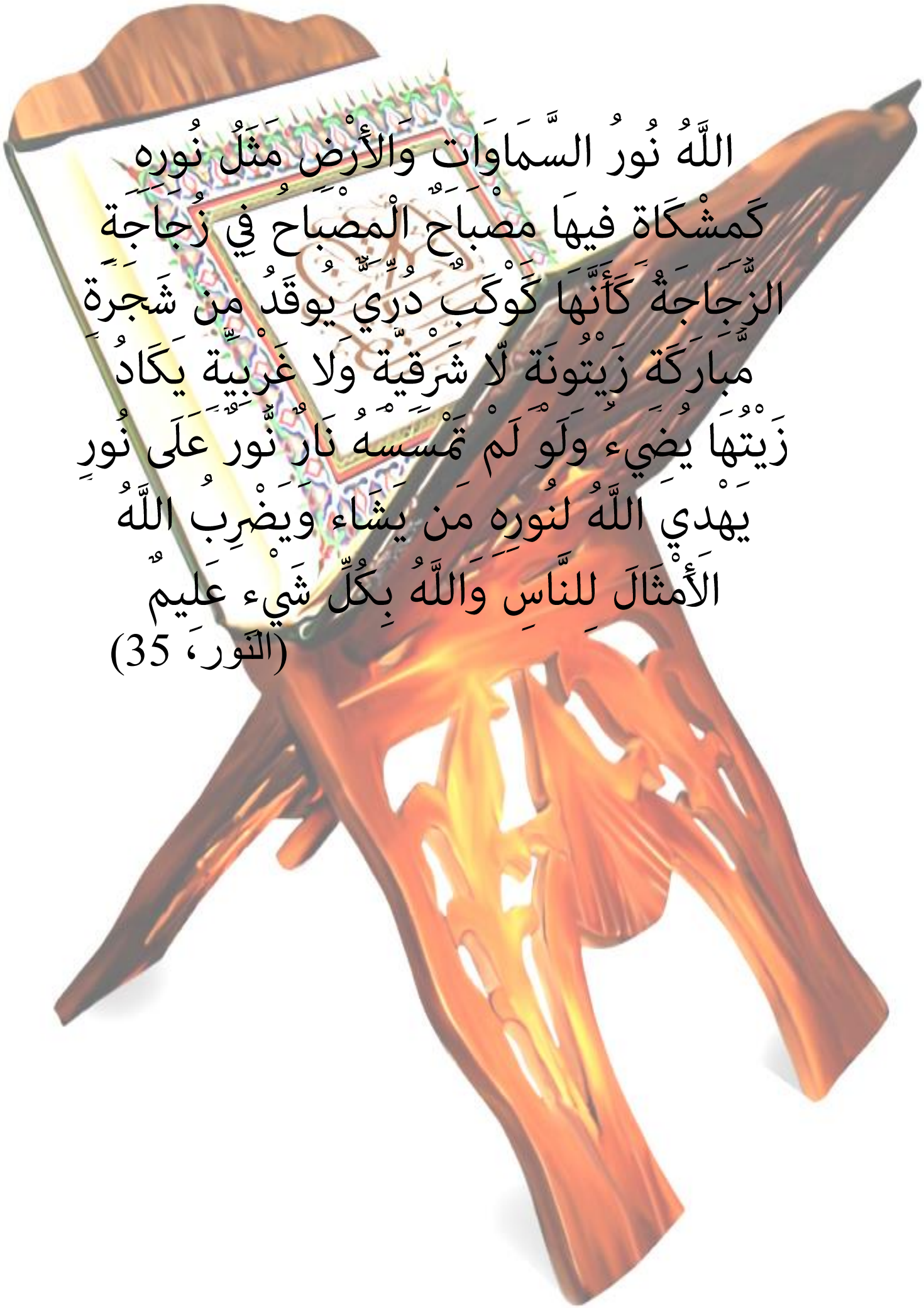

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ
كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ
مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ
زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ
يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
(النور، 35)

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بذكرك

ولا تطيب اللحظات إلا بطاعتك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

وأصلي وأسلم على حبيبي وقرّة عيني أول معلم لي في الكون ظللته سحائب

اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الذّي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإنسَانَ منْ عَلَق (2) اقْرَأْ وَرَبُكَ الأَكرَمِ (3) الذّي عَلّمَ بِالقَلَمِ (4) عَلّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم (5)

سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

ثم أتقدم بالشكر والعرفان لآبائنا وأمهاتنا الكرام الذين كانوا سندا لنا ماديا ومعنويا .

وأشكر أيضا كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور المشرف " نور الدين بعلوج"، الذي لم يدّخر جهدا في سبيل إرشادي وتوجيهي لإتمام هذا العمل

إلى كل أساتذة معهد الأدب واللغة العربية نهدي عملنا هذا.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

أمي وأبي حفظهما الله اللذان كانا سندا لي.

إلى إخوتي سهام وصبرينة وآية.

وإلى زميلتي ورفيقتي في الدراسة نرجس.

وإلى أساتذي والذي فضل عليا ووجهني وأرشدني الأستاذ: .....

سائلا الله العلي القدير أن ينفعنا به ويمدنا بتوفيقه.

.....

إهداء

إلى شمس حياتي التي إحتضنتني أشعتها نطفة ورعتني وحنـــّت عليّ فكانت حبة زاهرة نسبح في ثناياها دون كلل وملل.

إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات، إلى أغلى الحبايب

" والدتي الحبيبة "

إلى مثلي الأعلى، رمز التحدي والعطاء والمسؤولية، رمز المحبة والوفاء والأبوة الطاهرة

" أبي العزيز"

إلى من بوجودها أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها، إلى من عرفت معها معنى الحياة،

إلى صاحبة القلب الطيب والنوايا الصادقة، إلى من رافقتني منذ أن حملنا حقائب صغيرة ومعك سرت الدرب خطوة بخطوة وما تزال ترافقني حتى الآن " أختي"

إلى كل صديقاتي اللواتي لم تلدهن أمي **عبير، أميرة، وردة.**

إلى رفيقة دربي وأعزّهم على قلبي

" نجاة "

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلـــّموني أن لا أضيعهم، إلى كل من أحبه قلبي ونسيه قلمي،

إليهم جميعا أهدي هذه الثمرة المتواضعة.

الآن اكتمل العمل ولا يسعنا إلا التوجه بالشكر لله عزّ وجلّ على توفيقه ونبوء له بنعمته فلك الحمد يا رب ولك الشكر.

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي شرّف اللـــّسان العربي بكتابه العزيز وشريعته الهادية، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى.

لقد خصّ الله عز ّوجلّ وعلا نبيه المصطفى محمد عليه أفضل الصلوات وأزكى السلام بالقرآن الكريم الذي بلغ الذروة في بلاغته وفصاحته فكانت وجها من وجوه إعجازه، ونظرا لكونه أرقى وأسمى مراتب الفصاحة والبلاغة التي إرتقت إليها اللغة العربية عبر القرون، فكان ولازال موردا عذبا نهل منه السابقون وينهل منه اللاحقون من العلماء والدارسين الذين عنوا بدراسته كثيرا فجاءت مصنفاتهم مختلفة ومتنوعة بتنوع مشاربها، منها ما تعلق بالأسماء والأفعال أو الصفات والأحوال... ومنها ما تعلق بالضمائر، هذه الأخيرة التي تعد واحدة من أهم المواضيع في الدرس النحوي وإن كان النحاة قد انقسموا في التعامل معها، فمنها ما نال حظه الوافر من الاهتمام ومنها ما لم توفيه الدراسات حقه.

وفي هذا الســـّياق يندرج بحثنا الموسوم بـــــ: "الضمير نحن في القرآن الكريم – دراسة نحوية ودلالية– كخطوة مهمة نحو الغوص في أغمار كتاب الله المنزّل.

وقد جاء هذا البحث محاولا الإجابة على عدد من التساؤلات تخطر في بال العديد من دارسي الأدب، والمتمرسين في القضايا النحوية، ولأهمية هذه الظاهرة، ارتأينا أن نسلط الضوء عليها من خلال الإجابة عن بعض التساؤلات المتمثلة في:

ما مفهوم الضمير لغة واصطلاحا؟ وما هي أقسامه ووظائفه؟ وماذا يقصد بالضمير في اللسانيات الحديثة؟ وما هو الضمير المنفصل نحن؟ وما الضمير نحن في القرآن الكريم؟ وما هي معانيه؟ وما هي صور التشكلات الإحالية بالضمير؟ وماذا يقصد بالسياق في اللغة والاصطلاح؟ وما علاقة السياق بالضمير؟ وما هي خصائصه

وأهميته؟ وما دوره في تحديد المعنى؟ وما هي أنواعه؟ وما هو دوره في تحقيق التماسك النصي؟ وما هي أنواع الدلالة؟

وقد توزعت هذه الدراسة في فصلين تسبقهم مقدمة ثم تمهيد، حيث أن الفصل الأول احتوى على:

- مفهوم الضمير لغة واصطلاحا
- أقسامه
- ووظيفته
- الضمير المنفصل نحن
- الضمير نحن في القرآن الكريم
- معاني الضمير
- الضمير في اللسانيات الحديثة
- صور التشكلات الإحالية بالضمير
- مفهوم السياق لغة واصطلاحا
- علاقته بالضمير
- خصائصه
- أهميته
- دوره في تحديد المعنى
- أنواعه

- دوره في تحقيق التماسك النصـــّي

- أنواع الدلالة (السياقية والتركيبة)

- أما بالنسبة للفصل الثاني: خصـــّصناه لدراسة الضمير "نحن" في القرآن الكريم.

- أما الخاتمة فشملت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث.

وأما عن أسباب اهتمامنا بدراسة هذا الموضوع فيمكن أن نوجزها فيما يلي:

- حاجتنا الملحة إلى مثل هذه المواضيع المثيرة التي تفتقر إليها مكتبتنا الجامعية أولا، وتقل فيها

الدراسات أو تكاد تنعدم ثانيا.

- رغبتنا الشديدة في الخروج عن عرف الدراسات المكررة والبحث في خبايا موضوع له من الأهمية العظيمة والدرجة الكبيرة لتجعله مضمار شيقا لكل من يرغب البحث فيه.

أما عن أسباب إختيارنا لكتاب الله المنـــزّل فلأننا لم نجد خير منه مدونة للدراسة.

وقد اعتمدنا في دراستنا للموضوع على جملة من المصادر والمراجع التي ساعدتنا على إنجاز البحث، ومن هذه المصادر والمراجع نذكر منها: عباس حسن النحو الوافي، صبحي إبراهيم الفقي علم النصـــّي بين النظرية والتطبيق، مصطفى حميدة نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، والأزهر الزنـــّاد نسيج النص، ومن المعاجم المعتمد عليها نذكر: لسان العرب لابن منظور، والمعجم الوسيط لإبراهيم أنيس.

وعند انجازنا لهذا البحث واجهنا بعض الصعوبات ومنها على الخصوص قلة المصادر والمراجع المختصة بظاهرة ضمير المتكلم "نحن" في القرآن الكريم وإنما هي مجرد جزئيات في كتب النحو والبلاغة.

وقد اعتمدنا في الدراسة على المنهج الوصفي المعتمد على التحليل والاستقراء؛ للتوصل إلى دلالات الضمير "نحن" المستخدمة للجمع والجماعة، وتعظيم المفرد نفسه، وتفخيم الفرد ذاته.

ولا يسعنا في ختام هذه المقدمة إلا أن نتقدم بجزيل الشكر لأستاذنا الفاضل "**بعلوج نور الدين**" المشرف على هذه المذكرة، والذي لم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة وآرائه السديدة.

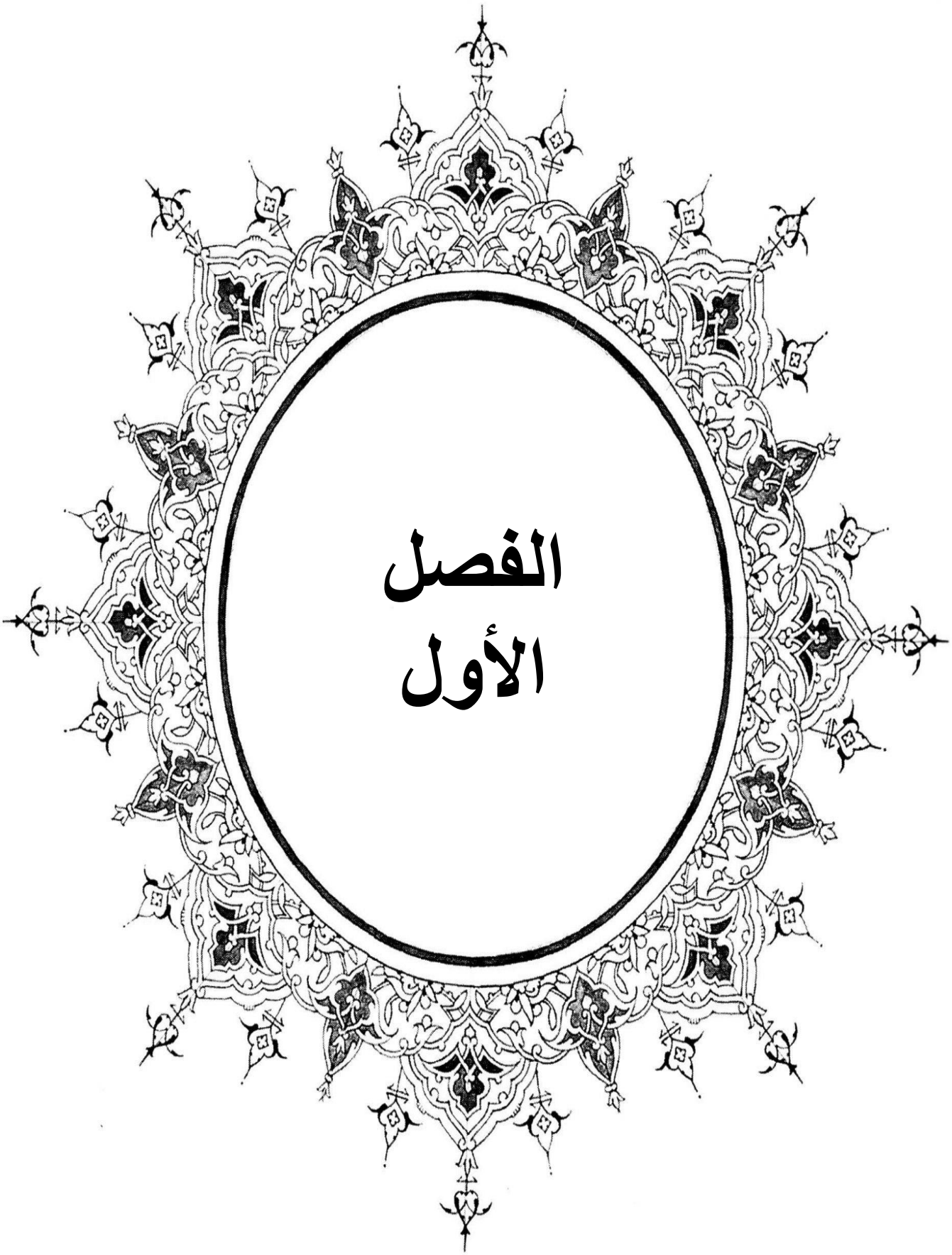
الفصل
الأول

I. الفصل الأول: الضمير في اللغة العربية: مداخل مصطلحية ومفاهيم عامة:

تمهيد:

تستخدم الضمائر في اللغة العربية بكثرة، إذ لا نجد نصا من دون تلك الضمائر، لهذا لم تغفل الدراسات اللغوية عن تناولها، حتى غدت من أهم أبواب الدرس النحوي، بل نستطيع أن نقول إنها أهم العناصر التي تشكل بنية وتماسك النصوص، لما تؤديه من دور بارز في ربط أجزاء النصوص بعضها ببعض.

وينصرف مدلول الضمير إلى ذلك القسم من الأسماء الذي يقابل الاسم الظاهر من ناحية، والاسم المبهم الذي يشترك فيه مع أسماء الإشارة والموصولة من ناحية أخرى، ومن حيث إنها وحدات لغوية تدل على شخص أو شيء حاضر أثناء عملية التعبير والكلام.

- **التعريف بالضمير، وأقسامه، ووظيفته**

I. 1- تعريف الضمير:

I. 1- أ- تعريف الضمير في اللغة:

الإضمار في اللغة: إسقاط الشيء لفظًا لا معنى، وترك الشيء مع بقاء أثره، والإضمار قبل الذكر جائز في خمسة مواضع: الأول في ضمير الشأن، مثل: هو زيد قائم، والثاني في ضمير رب، نحو: ربة رجلًا، والثالث في ضمير نعم، نحو: نعم رجلًا زيد، والرابع في تنازع الفعلين، نحو: ضربني وأكرمني زيد، والخامس في بدل المظهر عن المضمر، نحو: ضربته زيدًا[1].

ويتبين لنا بهذا أن الضمير في اللغة يدور معناه حول أمرين هما: الهزال، والخفاء.

وهذان المعنيان يتناسبان مع أكثر الضمائر، ولكنهما لا يتناسبان مع ضمائر كثرت حروفهـــا أمثال: إياك، وإياكم، وإياكن.

1- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711ه): لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، ط3، 1414ه، مادة (ض م ر) ص، 491/4.

وقد جرى بعض المفسرين على تسمية الضمير بالكناية ومنهم: الثعلبي في الكشف والبيان، وكذا البغوي في تفسيره معالم التنـــزيل وعبد الرحمن بن محمد الثعالبي أيضاً في الجـــواهر الحسان، وابن الجوزي في زاد المسير، وكان استعمالهم لها كثيرا، واستعملها على نحـــو أقـــل: القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، والنسفي في مدارك التنـــزيل وحقائق التأويل.

وأما مصطلح الضمير فأكثر المفسرين يستخدمه: كالزمخشري في الـــكشاف، وابـــــن عطية في المحرر الوجيز، والقـــرطبي فـــي الجامع لأحكام الـــــقرآن، والآلـــوســـــي في روح المعاني وأبو حيان في البحر المحيط، والشوكاني في فتح القدير، وغيرهم وقد استعمل الطبري في جامع البيان كلا المصطلحين.

ونستفيد من عرض استعمال بعض المفسرين لمصطلح الضمير والكناية: أن بعضهم يـــستعمل كلا المصطلحين: كالطبري، والبغوي، والقرطبي مثلاً، فإذا ورد ذكر مصطلح الكناية في أي مـــن كتب التفسير فالمقصود هو الضمير عند البصريين من غير فرق – والله أعلم –

ا. 1– ب– تعريف الضمير في الاصطلاح:

عرفه ابن مالك بقوله: "هو الموضوع لتعيين مسمّاه مشعرا بتكلّمه أو خطابه أو غيبته"[1].

ومن تعريفات النحويين للضمير: أنه اللفظ المحتاج في تفسيره إلى لفظ منفصل عنه إن كـــان غائباً، أو قرينة تكلم أو خطاب.

فقولهم: إلى لفظ: احترازاً من ألفاظ الإشارة؛ لأنه لا بد أن يكون معها مفسر.

وقولهم: منفصل عنه: احترازاً من الموصولات؛ لأنه لا بد أن تتصل صلاتها بها.

[1] – محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (المتوفى: 778ه): شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، 1428ه، ص، 447/1.

وقولهم: قرينة تكلم أو خطاب: ليدخل فيه ضمير المتكلم والمخاطب؛ لأنـــه لا يحتـــاج إلى معرفة لفظ ظاهر، بل قرينة التكلم والخطاب كافية.

ومن تعريفاته أنه اسم جامد يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب، ويمتاز هذا التعريف بالتنصيص على: أن الضمائر مرتجلة غير مشتقة.

إذن "الضمير والمضمر مصطلحان في النحو العربي يدلان على علامة الإضمار، وهي العلامة التي تعوض الاسم الدال على المتكلم أو المخاطب أو الغائب فهي قناعه، تخفيه ويتستر بها.

وبناء على ما تقدم فالضمير عند النحاة: هو ما يدل على: تكلم، أو خطاب، أو غيبة.

فالضمير بأنواعه الثلاثة السالفة، اسم جامد مبني، وبسبب بنائه لا يثنى ولا يجمع، فلا تدخله العلامة الخاصة بالتثنية أو الجمع، إنما يدل بذاته وتكوين صيغته، على المفرد المذكر أو المؤنث، أو على المثنى بنوعيه المذكر والمؤنث معًا، أو على الجمع المذكر أو المؤنث[1]

والإحالة بواسطة الضمير من أهم عوامل الربط التي تفيد ترابط الكلام وتماسكه، حيث أن الضمائر تكتسب أهميتها بصفتها نائبه عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، فقد يحل ضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل. ولا تقف أهميتها عند هذا الحد، بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة، شكلًا ودلالة، داخليًا Endophoric وخارجيًا Exophoric وسابقة Anaphoric ولاحقة Cataphoric[2].

ومن ثَمَّ يقوم الضمير بدور بارز في تماسك النص، وهو من العناصر التي تساعد القارئ أو المتلقي بقبول النص أو عدم قبوله.

---

[1]– عباس حسن، النحو الوافي، ج1، ط3، دار المعارف، مصر، سنة 1984، ص،1 /218.

[2] – د. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،ج1، ط1421،1ه– 2000م، كلية الآداب – جامعة طنطا، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ص،1 / 137.

ويشير د. مصطفى حميدة في أن الرابط من الضمائر هو (الضمير البارز)، أما الضمير المستتر فهو في رأيه قرينة معنوية تستنبط بالعقل ولا يشير إليها لفظ، ولذلك كان من المعقول النظر إليه على أنه يُنْشِئُ علاقة ارتباط في كل المواضع التي رآه النحاة فيها رابطًا، نحو: (جاء زيد يسعى). ويرى بحث معاصر أن من الأرجح إلغاء الضمير المستتر، والنظر إلى الحال (يسعى) على أنها مُستغنِيه بصيغتها الفعلية عن الربط[1]، ولكن لا نميل إلى هذا الرأي؛ لأنه من الممكن أن نقول "جاء من مكان بعيد رجل يتصدق" فالضمير المستتر في يتصدق يعود على الجملة التي قبلها، وإذا نظرنا إلى الرأي الذي يلغي الربط بالضمير المستتر نجده يغفل عن أنه يربط بين الجمل. فالضمير يعد من الروابط الاسمية سواء أكان بارزًا أو مستترًا.

ا. 2- **أقسام الضمير**[2]:

ا. 2-أ- **متَّصلٌ**، وهو تسعةُ ألفاظٍ كلُّها لَواحقُ لا يُبدأُ بها، على النَّحو التَّالي:

- ضمائر مرفوعةٌ دائماً، وهي: تاءُ الفاعِل، نونُ الإناث، واوُ الجماعة، ألفُ التَّثنية، ياء المخاطبة، نحو: (ضَرَبْتُ، ضَرَبْتَ، ضَرَبْتِ، ضَرَبْنَ، ضَرَبُوا، ضَرَبَا، اضْرِبِي).

- ضمائر تُنْصَبُ وتُجرُّ، وهي: كافُ الخطابِ، وهاءُ الغائب، وياءُ المتكلِّم، (ضَرَبَكَ، مَرَّ بِكَ)، (ضَرَبَهُ، مَرَّ بِهِ)، (ضَرَبَنِي، مَرَّ بِي).

- ضَميرٌ يقعُ مرفوعاً ومنصوباً ومجروراً، وهو ضمير جماعة المتكلِّمين (نا)، تقولُ: (قُمْنا، ضَرَبَنا، مَرَّ بِنا).

---

[1]- د. مصطفي حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، معهد اللغة العربية - جامعة الملك مسعود، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط1997،1، ص، 196.

[2]- ابن يعيش، شرح المفصل، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1422ه- 2001م، ص، 326/2، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421ه): شرح ألفية ابن مالك، ص، 8/9.

ا. 2- ب- **منفصلٌ**، وهو نوعان:

- ضمائرُ لا تأتي إلَّا مرفوعةً، وهي: أَنا، أنْتَ، أَنْتِ، أَنْتُما، أَنْتُمْ، أَنْتُنَّ، نحنُ، هُوَ، هِيَ، هُما، هُمْ، هُنَّ.

- ضَميرٌ لا يأتي إلا منصوباً، وهو (إِيَّا)، ويتصرَّفُ: إِيَّايَ، إِيَّانا، إِيَّاكَ، إِيَّاكِ، إِيَّاكُما، إِيَّاكُمْ، إِيَّاكُنَّ، إِيَّاهُ، إِيَّاها، إِيَّاهُما، إِيَّاهُما، إِيَّاهُمْ، إِيَّاهُنَّ.

ا. **3- أما الضمير المنفصل نحن:**

فهو ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع دائمًا، والمرفوعات كثيرة (المبتدأ، الفاعل، نائب الفاعل، اسم الفعل الناقص...) وهو يدل على جماعة المتكلمين، وقد ينوب متكلم واحد عنهم فيتحدث بقوله: نحن، وفي القرآن الكريم استعمل في أكثر من موضع للجلالة، ولا غرابة في ذلك؛ لأن القرآن نزل عربيًا فلا بد أن يراعي الأساليب العربية للبيان والتأثير، نحو:

قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ سورة الحجر.

وقوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ سورة الإنسان.

فاستعمال **(نحن)** هنا لا يدل على جماعة المتكلمين، وإنما الله واحد لا شريك له، وإنما أنزل القول بلغة الجمع؛ للتفخيم والجلال وهذا من أساليب العربية وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل في موضعه من الدراسة.

ا. **4- وظيفة الضمير:**

وللضَّمير وظيفة مهمة تتمثَّل في قُدرة الضمير على تحقيق التَّماسُك والترابُط في النَّصِّ، من خلال علاقة الضَّمير بما يُحيل أو يشير إليه؛ ولذلك اهتمَّ به علماء اللغة القدامى والمحدثين وأَوْلَوْهُ عنايةً كبيرة في تحليل النصوص[1].

1- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصِّي بين النظريَّة والتطبيق، المرجع السابق، ص، 143/1.

وإذا عُدْنا إلى تراثِنا فسنجِد إدراك النُّحاة لهذه الوظيفة الكبرى للضَّمير، فقد جعَلَه ابنُ هشام الأصلَ في الروابط، فقد ذكر تحت عنوان روابِط الجملة بما هي خبر عنْه أنَّ "الضَّمير الأصل؛ ولهذا يُربط به مذكورًا كـــــ"زيدٌ ضربته"، ومحذوفًا مرفوعًا نحو: قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ سورة طه.

إن قدِّر: لهُما ساحران، ومنصوبًا كقراءة ابن عامرٍ في سورة الحديد: وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ سورة الحديد.

وواضح أنَّ ابنَ هِشام أدْرك أنَّ الضَّمير في: "زيد ضربتُه" يرجِع إلى زيد، وبهذه العوْدة إلى زيد تحقَّق الارتباط بين زيد المذْكور وجملة "ضربته"، وكذلك أدْرك أنَّ هناك ضميرًا محذوفًا في **قوله تعالى:** "وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ"، وإلاَّ لم يكن هناك ارتباط بين كلمة " كلا" والجملة التي تليها، ولا بدَّ من هذا الرَّابط ليتحقَّق للنَّصِّ ترابُطه وتماسُكه.

وهذه هي وظيفة الضَّمير؛ ولذا اهتمَّ به العلماء القدامى والمحدثين – كما أشرنا – فالضَّمير، مع الوسائل الأخرى يحقِّق للنصِّ التماسك والترابط، "ومن ثمَّ أكَّد علماء النَّصِّ أنَّ للضَّمير أهمِّيَّة في كونِه يُحيل إلى عناصر سبق ذكرُها في النَّصِّ... وأنَّ الضمير (هو) له ميزتان، **الأولى:** الغياب عن الدَّائرة الخطابيَّة، **والثانية:** القدرة على إسناد أشْياء معينة، وتجعل هاتان الميزتان من هذا الضمير موضوعًا على قدْر كبير من الأهمية في دراسة تماسُك النصوص"[1].

1– صبحي إبراهيم الفقي، المرجع نفسه، ص،161/1.

وتبرز أهمية الضَّمير في تحقيق التَّماسك من طريق مرجعية الضَّمير؛ أي: بإدْراك علاقة الربط التي يقيمها الضَّمير بين الضمير/ العنصر الإحالي بالعنصر الإشاري الذي يفسره، أو يحيل إليه[1].

ويضع علماء اللغة شرطًا في كل مضمر، حيثُ يشترِطون "في كل مضمر أن يكون له مفسّر مناسب يَحكمه، وهذا التحكُّم يتمُّ بصَرْف النَّظَر عن موقع المفسر بالقياس إلى المضمر، سواء كان سابقًا عليه أو لاحقًا عليه"[2].

غير أن هذه العلاقة بين الضمير وما يحيل إليه قد تكون غامضة؛ مما يمثل صعوبة من صعوبات التحليل اللغوي، وغالبًا ما يفيد السياق في إزالة غموض مرجعيَّة الضمير.

ولذلك لا يفتأ علماء اللغة يؤكِّدون على دوْر السياق في معرفة مرجعية الضمير، خاصَّة إذا كانت غامضة مرجعيَّته، وكذلك إذا كانت مرجعيَّته خارجيَّة، فتعتمد المرجعيَّة الخارجية على سياق الحال؛ لأنَّه في الغالب، بدون السِّياق نقِف عاجزين أمام تفسير ما يُقال[3]، وسيتَّضح دوْر السياق كوسيلة من وسائل التَّماسُك أو التَّرابُط من خلال النماذج المختارة.

1- العنصر الإحالي والعنصر الإشاري من مصطلحات علم اللُّغة النصِّي، ويقصد بالعنصر الإحالي الضَّمائر بما فيها من أسماء الإشارة والأسماء الموصولة، ويعرف نصيًّا بأنَّه: "كلُّ مكون يحتاج في فهمِه إلى مكوّن آخر يفسره، وهو يمثل أبسط عنصر في بنية النص الإحاليَّة، وهو ينقسم إلى عنصر إحالي معجمي: يعود على مكون مفسر له يمثِّل مقطعاً من النص.

أمَّا العنصر الإشاري فتقوم الوحدات المعجميَّة بوظيفته، وهي تشتمل كلَّ ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن إشارة أوَّلية، لا تتعلَّق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة، فيمثل العنصر الإشاري معلماً لذاته لا يقوم فهْمُه أو إدْراكه على غيره، وينقسم العنصر الإشاري إلى عنصر إشاري معجمي يتمثَّل في وحدة معجميَّة مفردة يُحال إليها، وعنصر إشاري نصي، يتمثَّل في مقطع أو جزء من نص، يُحال عليه بعنصر إحالي نصي، سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية، ص، 84، 86 وص، 92.

2- الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993م، ص، 123.

3- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتَّطبيق، ج1، ص165، سعيد حسن البحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، الناشر: مكتبة الآداب- القاهرة- الطبعة الأولى،2005، ص،33، 94.

I. 5- الضمير نحن في القرآن الكريم:

يستخدم القرآن الكريم الضمير نحن منسجماً مع سياق النص، والاستعمال اللغوي، ويستخدم صيغة الجمع والتعظيم والتفخيم، عندما يتحدث عن: (الرزق، أحسن القصص، العلم، تنزيل الذكر وحفظه، الإحياء والإماتة والإرث، الإهلاك، كتابة العمل والإحصاء، رفع الدرجات، الخلق، والقرب، والمصير، التقدير والسبق، الإزراع وإنزال المطر، الإنشاء، التذكرة، والجعل، شد الأسر والإبدال).

لقد استخدم القرآن الكريم الضمير المنفصل "**نحن**"، الدال على كل ما ينطوي تحت اسم الله الأعظم من صفات، تجتمع كلها في ضمير جميع الصفات نحن، لتلتقي مع ضمير التفرد "أنا" في وحدة متكاملة.

فنحن: تدل على وحدانية التفرد في القدرة على الخلق والعدم، والكبرياء في السماوات والأرض، وهذه وحدانية العبودية لله وحده، والتفرد بالعبادة له وحده، من البشر جميعاً، بل المخلوقات كلها، شكراً، وحمداً، وامتناناً، وعرفاناً، ورداً للفضل، وإيماناً وتصديقاً، بكل حرية وإرادة، ولا إجبار ولا كسر.

حين يتحدث الحق عن فعل من أفعاله، أو عمل من أعماله، ويأتي بضمير الجمع، فسبب ذلك أن كل فعل من أفعاله يتطلب وجود صفات متعددة، أي يتطلب علماً، وحكمة، وقدرة، وإمكانات.

ولكن حين يتكلم عن الذات الإلهية، فهو يؤكد عن الوحدانية، فلا تأتي بصيغة الجمع،

يقول الله تعالى: إِنني أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ سورة طه.

وهناك مسألة مهمة أيضاً في هذا المجال، وهي أن الله جل جلاله يشير باستخدام الضمير نحن إلى فضل الأطراف الأخرى المشاركة في إيصال النعمة إليك، أو الجنود

المشاركة في تنفيذ الأمر الإلهي، فينوه لها، مشيراً لفضلها، معترفاً بجميلها، مقدراً عملها، مبيناً، وموضحاً، ومعلماً لنا ذكر فضل الآخرين، وعدم نكرانه.

لقد وردت في القرآن الكريم (ثلاث وثمانون) آية، فيها الضمير المنفصل نحن، ورد منها بلغة الجماعة على قول البشر، والملائكة، والرسل، والأنبياء، والشياطين، الضمير المنفصل نحن (اثنتين وخمسين) مرة، وورد على قول الله تعالى بصفة من صفاته (إحدى وثلاثين) مرة، اقترنت (ست) منها بـــ إنَّا.

I. 6- معاني الضمير:

للضمير عدة معان فنجده يقصد به:

1- الإضمار:

وهذا المصطلح عند البصريين هو في صيغة اسم الحدث يفيد معاني عدة في كتب النحاة ومنها:

2- الحذف:

وهو إسقاط المعلوم من الاسم، أو الفعل، أو الحرف، أو الجملة. وهذا ما يقابل الإظهار[1]

هذا المعنى ليس بعيدا عن المعنى اللغوي للإضمار. إذ هذا الأخير متصل بالفعل "أضمر".

وكما نجد "سيبويه" يستعمل الإضمار والحذف إشارة إلى معنى واحد[2], وقد يحملان على الترادف أيضا عند "الجرجاني"[3].

---

[1]- ابن عقيل (بهاء الدين)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: حنا الفخاري، ج1، ط5، دار الجيل، بيروت- لبنان، سنة: 1997، ص،192.

[2]- سيبويه (أبو بشر)، كتاب سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، ط1، دار الجيل، بيروت- لبنان، د ت، ص، 129.

[3]- الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تص: محمد عبده ومحمد التركزي الشنقيطي، ط2، دار المعرفة، بيروت - لبنان، سنة: 1998، ص،117.

كما نجد الإظهار يقابل الحذف مرة، ويقابل الإضمار مرة أخرى وهذا ما نجده عند "ابن يعيش".

ولكن من الناحية الاصطلاحية: الحذف أعم من الإضمار لأن هذا الأخير يمس كل عناصر الجملة التي يجوز حذفها.

أما الإضمار لا يمس إلا الفاعل وعامله فحسب، وكما يشترط في الإضمار بقاء دليل على المضمر، وهذا ليس واجبا في الحذف[1]

3- التقدير:

ويعتبر التقدير مرادف الإضمار، ويستعملان- التقدير والإضمار. في معنى افتراض الممكن في البنية الأصلية لتأويل البنية المنجزة. وهذا بإقحام عنصر مخفي موجود في الذهن لتمثيل الجملة بما يتماشي والنظرية النحوية، فهما إظهار أو إبراز لما استتر وكان قياسه أن يظهر[2]، وذلك نحو قولك: زيد قائم (Ø) هو.

ومن خلال ما سبق يتضح أن الإضمار، قد يستعمل بمعنى الحذف مرة وبمعنى التقدير مرة أخر بحيث يتضمن عمليتين في وقت واحد.

الأولى: الحذف إسقاط عنصر كان حقه أن يذكر في السياق.

وأما **الثانية:** التقدير تحدد إرجاع هذا العنصر لضرورة التأويل، بمعنى العنصر اللغوي حينما يضمر يقدر[3].

4- العلامة المعوضة:

المعنى الثالث للضمير فهو العلامة المعوضة، وهذا ما نجده في التراث النحوي، إذ يخص في الغالب الاسم وحده، وذلك لاجتناب التكرار فيه، وخوفا من اللبس.

---

[1]- الهيشري (الشاذلي) الضمير: بنيته ودوره في الجملة، كلية الآداب، تونس، د/ ط، سنة: 2003، ص،77.

[2]- ابن يعيش (موفق الدين)، شرح المفصل، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د/ ط، د/ ت، ص، 223.

[3]- الهيشري (الشاذلي)، الضمير بنيته ودوره في الجملة، المرجع السابق، ص. 79.

ورغبة في الاختصار لذلك لا يسوغ ترك الضمير المتصل ضمير منفصلا إلا عند تعذر الوصل لأن المتصل أشد اختصاراً[1]

فنجد سيبويه يبين أن علامة الإضمار معرفة لأنها تحدد مرجع تلك العلامة وتعينه، بعد أن تحصل في ذهن المتخاطبين صورة ذلك المرجع[2]

ومن هنا نجد اختلافا بين الإضمار والحذف، فالحذف هو استغناء عن بعض العناصر دون تعويضها بأي نوع من أنواع العلامات. أما الإضمار هو حجب الاسم مع الإشارة إليه برمز يكنى به عنه.

5- الكناية:

الكناية والمكني هذان المصطلحان كوفيان ويقابلان مصطلح الإضمار عند البصريين لأنه ليس باسم صريح، وهو مصدر متصل بالفعل المخفي، والمخفي عن الاسم[3]

وكني بمعنى لم يصرح به لفظا. وإنما بعلامة أخرى معوضة وبهذا يعتبر الاسم مكني عنه. ولهذا فإن الكناية مثل الإضمار تحتاج إلى عنصرين أولهما مغيب هو الاسم، والآخر حاضر مذكور هو علامة الإضمار[4]

6- المضمر:

النحاة يستعملون المضمر والضمير وعلامة الإضمار، وعلامة المضمر في معنى واحد. ولفظة مضمر تدل على اسم مفعول متصل بالفعل "أضمر" وهو في الأصل صفة

---

[1]- الزمخشري (جار الله)، المفصل في علم العربية، د/ ط، دار الجيل، بيروت- لبنان، د/ ت، ص، 127.

[2]- سيبويه (أبو بشر)، كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج2، ط 3، السنة: 1408ه، 1988م، ص، 05- 06.

[3] - السيوطي (جلال الدين)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الجيل، بيروت، د/ ط، د/ ت، ج1، ص، 337.

[4]- الفراء (يحيى بن زياد)، معاني القرآن، اعتناء، فاتر محمد خليل اللبون، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996، ص، 12،25.

للاسم في حالة إخفائه حيث قامت الصفة مقام الموصوف وأغنت عنه. والمضمر بمعنى المستتر أو المخفي كقولك: أضمرت الشيء في نفسي.

وورد في قوله تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ سورة الحج.1، الضامر هي الخيل قليلة لحم البطن2، لأن الضمير غالبا قليل الحروف حتى تلك الحروف الموضوعة له أغلبها مهموسة : التاء، الكاف، الهاء.

فالضمير: هو ذلك الاسم الموضوع لتعيين مسماه مشعرا بتكلمه أو خطابه أو غيبته بألفاظ محصورة، وقد وضع لكل مقولة تصريفية ضمير مختلف، تلك المقولات الصرفية تتمثل في الشخص: المتكلم والمخاطب والغائب، النوع: التذكير والتأنيث، العدد: الإفراد والتثنية والجمع.

I. 7- الضمير من حيث الوضع:

تشير صفة الوضع في الضمير إلى أنه لفظ مصطلح عليه بين العرب وبهذا ينقسم إلى عدة أقسام وهذا بحسب اعتبارات مختلفة فنجده:

*** باعتبار مدلوله:** ينقسم الضمير إلى المتكلم والمخاطب، والغائب، ومنها ما يصلح للمخاطب حينا وللغيبة حينا آخر نحو: ألف الاثنين، واو الجماعة، نون النسوة ...

*** باعتبار وجوده في الكلام وعدم وجوده:** وينقسم إلى الظاهر والمخفي فالظاهر أو البارز. وبالتالي نسمي هذا الوضع ايجابيا لأنه استعمل فيه اللفظ وقسم لم يستعمل له لفظ وإنما تدل عليه القرائن المقالية التي يشكلها السياق العام الذي يرد فيه الضمير، كما

---

[1]- الآية رقم 27 من سورة الحج.

[2]- ابن عاشور (محمد الطاهر)، تفسير التحليل والتنور، ج 17، دار التونسية للنشر، تونس، د/ ط، سنة: 1984، ص، 244.

يظهر في صورة الكلمة التي يرتبط بها[1], لذا يوصف هذا النوع بالاستتار، وبالتالي نسمي هذا الوضع سلبيا ويرمز له بـــ (Ø) في هذه الحالة.

- الضمير البارز:

له صورة ظاهرة في التركيب، نطقا وكتابة[2]، مثل: "أنا كتبت الدرس"، فكل من كلمة (أنا) و(التاء) تسمى ضميرا بارزا، وقد يكون الظهور من حيث النطق غير ميسر أحيانا وهذا بحسب وقوع ساكن بعد الضمير الساكن.

فيستدل على ظهور الضمير بشيء آخر مثل: مد الصوت بالحركة قبله في ألف الاثنين، وواو الجماعة، وياء المخاطب كما في قولنا: "كتبا"، "اكتبوا"، "اكتبي"، وهذه الضمائر ظاهرة في الكتابة دون النطق، ومد الصوت هو الذي يدل عليها، وذلك بالحركة قبله.

وينقسم الضمير البارز إلى قسمين:

أ- الضمير المتصل:

هو ضمير اتصل بعامله، لذا لا يمكن أن يبتدئ به أول الكلام، أو يستقل بنفسه مهما كانت الوظيفة النحوية التي يقتضيها العامل من رفع، أو نصب، أو جر، ويشكل مع عامله لفظة واحدة مثل : (كتبت) ويكون عندئذ مبنيا عليه لأنه يعد كأحد الأحرف التي تبني منها تلك الكلمة فلا نجده منعزلا عن عامله[3]

ويقول ابن مالك :

وذو اتصال منه مالا يبدا *** ولا يلي "إلا" اختيارا أبدا

---

[1]- حسان (تمام)، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، د/ ط، د/ ت، ص، 134.

[2]- عباس (حسن)، النحو الوافي، دار المعارف، ط 3، مصر، ص. 119، والمفصل في النحو العربي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص، 698.

[3] - الحاج صالح (عبد الرحمان)، "المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي"، في تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1991، ص، 380.

كالياء والكاف من أبني أكرمك *** والياء والهاء من : سليه ما ملك[1]

فالضمير المتصل لا يستقل عن عامله ولا يصح أن يتقدم عنه.

ب- الضمير المنفصل:

وهو ضمير انفصل عن عامله ويمكن أن يستقل بنفسه من حيث النطق ولا يعتمد على غيره ويمكن أن يبتدئ به ويقع بعد الحرف "إلا" وكما يمكن أن يتأخر عن عامله مفصولا بفاصل نحو: ما المخلصون إلا نحن[2]

I. 8- الضمير في اللسانيات الحديثة:

للضمير في الدرس النحوي العربي مقام كبير من حيث إسهامه في الترابط اللفظي للنص، كما أن له مقاماً كبيراً في الدراسات النصية الحديثة، انطلاقاً من تشكيله للإحالة التي تعد أهم مظهر من مظاهر التماسك النصي، فقد عني الدرس اللغوي العربي بمفاهيم لعل من أهمها

مفهوم الضمير وَحَدّهُ، واهتمت اللسانيات الغربية الحديثة به وبوبت له وقننت، فكان نتاج ذلك ما نسميه اليوم لسانيات النص، ويأتي هذا الجهد لبيان مدى التقاطع بين النحو العربي واللسانيات النصية في باب الضمائر، ولبيان مدى التقاطع بين الدرس النحوي القديم والدرس اللساني الحديث، لنعرف قيمة تراثنا ونعتز به، ونقدمه لغيرنا ليعرف إسهاماتنا اللغوية ويبني عليها الفكر اللساني الحديث.

ذكرنا سابقاً أن حد الضمير عند النحاة هو ما دل وضعاً على متكلم أو مخاطب أو غائب،

ومن ثم كان الضمير بديلاً لإعادة الذكر في الاستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار، ويذهب بعض الدارسين إلى أن الضمير وسيلة استحدثتها العربية بعد مراحل من

---

[1] – شرح ألفية ابن مالك، ص، 10.

[2] – النحو الوافي، عباس حسن، المرجع السابق، ص، 221.

التطور ليقوم بوظيفة الربط، فضلاً عما يقوم به من وظائف أخرى، ويرون أن العربية كانت تستخدم في مراحل متقدمة إعادة اللفظ نفسه[1].

والمعروف أن ضمائر المتكلم تفتقر إلى متكلم، وضمائر الخطاب تفتقر إلى مخاطب، فيكون المتكلم بمثابة المرجع لضميره، ويكون المخاطب كذلك، أما ضمير الغيبة فيفتقر في العادة إلى مذكور يعد مرجعاً، فلا يتضح مع الضمير إلا بواسطة ذلك المرجع، والعربية – كما قلنا سابقاً – تلجأ إلى الربط بواسطة لفظية حين تخشى اللبس في فهم الانفصال بين معنيين أو اللبس في فهم الارتباط بين معنيين، ضميراً والواسطة اللفظية إما أن تكون بارزاً منفصلاً، أو متصلاً وما يجري مجراه من العناصر الإشارية كالاسم الموصول واسم الإشارة، وإما أن تكون أداة من أدوات الربط، أما الضمير البارز فتستخدمه العربية رابطاً وتشترط أن يكون له مرجع يعود إليه، ويكون ملفوظاً به سابقاً مطابقاً له[2].

والضمير في الدراسات اللسانية تتشكل به الإحالة، والإحالة من حيث النظرة اللسانية تنقسم أقساماً كثيرة بحسب المعيار والزاوية التي ننظر عبرها، فهي من حيث العلاقة بالنص تنقسم إلى داخلية وخارجية، ومن حيث رتبة الضمير من المرجع تنقسم إلى قبلية وبعدية، وهي من حيث المدى وقرب الضمير من المرجع تنقسم إلى قريبة وبعيدة، وللضمير أهمية في تشكيل الإحالة، وله مواضع يربط فيها بين أوصال الكلام، وله صور تحدث الاتساق في التراكيب النصية، وهذا ما سنتحدث عنه فيما يأتي.

فمن صور الربط بالضمير ربط الجملة، إذ يربط بالضمير الخبر الجملة، فالترابط بين المبتدأ والخبر لا جدال فيه من حيث المعنى، والأمر بين سهل إذا كان الخبر

---

[1]– الفاكهي، (جمال الدين عبد الله بن أحمد)، شرح الحدود النحوية، تح: د. محمد الطيب الإبراهيم، دار النفائس (بيروت) ط1، 1996م، ص،180.

[2]– تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ط1، القاهرة – بيروت، الناشر: عالم الكتب، 1413– 1993م، ص، 137/1، سيبويه، عمرو بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون،ج1، ط1، دار الجيل: بيروت– لبنان، د/ت، ص، 62/1.

مفردًا، ففيها لا يحتاج الخبر إلى رابط يربطُهُ بالمبتدأ، لكن إذا كان الخبر جملة فإن الأمر يتغير، إذ الواجب أن يكون الخبر مرتبطاً برابط من روابط أربعة، أحدها الضمير وهو الأصل في الربط، ويربط بالضمير النعت الجملة، فقد أكد النحاة منذ القدم أن جملة الصفة لابد لها من الضمير الرابط، ولا يربطها غيره، فهذا سيبويه[1]، يقول: (ذلك قولك: أزيد أنت تضربه).

وأكل يوم نوب تلبسه فإذا كان وصفا فأحسنه أن يكون فيه الهاء)، وقال السيوطي في الأشباه والنظائر[2]: جملة الصفة لا يربطها إلا الضمير، فهو يوجب لها الربط ويحدد الرابط بالضمير فقط، وقال ابن عقيل[3]: لابد للجملة الواقعة صفة من ضمير يربطها بالموصول، فلا بد من اشتمال الجملة الصفة على ضمير يربطها بالمنعوت ويجعل الكلام والمعنى متماسكين متصلين؛ ولذا يسمى الرابط، فنحاتنا الأولون والمتأخرون اشترطوا للجملة الواقعة نعتاً أن تكون مشتملة على ضمير يربطها بالموصول إما ملفوظ به... أو مقدر، ويكون الضمير ظاهراً أو ضميراً مستتراً نحو قوله تعالى: وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ سورة آل عمران، فالضمير الظاهر في قوله (عرضها) والمستتر في قوله (أعدت) 4.

---

[1]– سيبويه، عمرو بن قنبر، الكتاب،ج2، الطبعة الثالثة: 1408ه– 1988م، بيروت: دار الجيل، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص، 62/1.

[2]– السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الأشباه والنظائر، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1411هـ – 1990م، ص، 282/2.

[3]– ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون 1400 هـ – 1980 م، ص، 54/2.

[4]– مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط، ط1، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، 1997م، ص.169.

[5]– هناء محمود إسماعيل، النحو العربي في ضوء لسانيات النص، ط1، بيروت– لبنان، ج1، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: 2012م، ص، 195.

وتحدث التشكيلات الإحالية بالضمير في باب التوكيد المعنوي الذي تستعمل فيه ألفاظ مخصوصة محددة في كتب النحو، وهذه الألفاظ يشترط لها اشتمالها على الضمير العائد الذي تشترط فيه مقبولاً روابط كلها تجعله للربط بين المؤكد والتوكيد، وألفاظ التوكيد تحتاج إلى رابط ورابطها إنما هو الضمير، ومن ذلك قوله تعالى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ ا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ سورة الأنفال فلفظ (كله) اشتمل على ضمير يعود على المرجع الذي هو (الدين) وهو كما يظهر جلياً مطابق للمرجع، ومن الأمثلة أيضاً قول القائل: المجلتان كلتاهما تحويان معارف علمية، فكلمة (كلتاهما) توكيد معنوي للفظ (المجلتان)، والملاحظ أيضاً أن هناك تطابقاً بين اللفظ المؤكد الذي هو لفظ (كلتاهما) والمرجع وهو (المجلتان)[5].

I. 9-1- صور التشكلات الإحالية بالضمير:

ذكرنا أن للضمائر أهمية في تحقيق الاتساق النصي، فهي تكتسب أهميتها عبر نيابتها عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، وتربط بين أجزاء النص المختلفة كلاً ودلالة، داخلياً وخارجياً، سابقة ولاحقة، وتتفرع الضمائر في العربية حسب الحضور في المقام أو الغياب إلى فرعين كبيرين متقابلين هما: ضمائر الحضور، وضمائر الغياب، ثم تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري وهو الباث، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه وهو المتقبل) ومعروف أن بعض الكلمات قد تحل محل بعض، فتحل الضمائر محل الأسماء وتقوم مقامها، غير أن لها محتوى دلالياً أصغر، وتعد الضمائر أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة على كيانات معطاة، فلو أردنا تحري الحقيقة، على ماذا يحيل ضمير المفرد الغائب (هو) لو أُخذ منعزلاً لما وجدنا له معنى خاصاً يتفرد به ولا يرتبط فيه بلفظ آخر، بل نجده يشير دوماً إلى المرجع الذي يعود إليه[1]

---

[1]- جمعة عوض، نظام الربط في النص العربي، ط1، عمان: دار المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، 2008م، ص،41.

ووفق تقسيم العلماء، تنقسم الضمائر إلى ضمائر وجودية، وضمائر غياب نتناول منها ضمائر التكلم فقط؛ لأن ذلك موضوع دراستنا، ونبين كيف دلت على الاتساق عبر تشكيلها للإحالة النصية.

I. -9-1-أ- التركيب الإحالي بواسطة ضمير المتكلم:

تنقسم الضمائر من حيث عدد المقصود بها إلى ضمائر جمع، وضمائر إفراد، ونبدأ حديثنا بالتمثيل لضمائر المتكلم الجمع (نحن)، لأنه محل دراستنا، وهو حال لاستخدام ضمائر الوجود المؤدية إلى الاتساق، فقد أبرز التحليل الألسني الخطابي أن الكاتب يبدع في اتساق نصوصه الحكائية بالاعتماد على استعمال ضمائر وجودية منفصلة، ومتصلة تخل علاقات سابقة ولاحقة بين الجمل المتتالية، وضمائر الوجود المنفصلة هي: نحن وأنا، ولها مثيلاتها من المتصلة والمستترة.

فمن الضمائر الوجودية الضمير المنفصل العائد إلى المتكلم الجمع (نحن) ونمثل له **بقوله** تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ سورة البقرة فالضمير (نحن) إنما مرجعه هو (الكفار المعاندون) ولا نستطيع أن نفهم المقصود في غير السرد الحكائي إلا بوجود هذا المرجع أمامنا، وهذا يشكل إحالة خارج النص؛ لأن المرجع موجود في السياق غير اللغوي، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ سورة القلم، فالضمير "نحن" إحالة على مرجع متصيد خارج النص، تحيل إلى أصحاب الجنة المذكورين في السرد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ سورة القلم، والجنة المقصودة جنة بأرض اليمن لرجل يؤدي حق الله تعالى منها فلما مات صارت إلى ولده، فمنعوا الناس خيرها، وبخلوا بحق الله فيها فأهلكها الله من حيث لا يمكنهم

دفع ما حل بها، والضمير الوجودي يشكل إحالة خارج النص؛ لأن المقام يغني عن ذكره[1].

ونجد الضمير الظاهر والضمير المستتر العائد إلى المتكلمين الجمع في قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ سورة القلم، ففي الضمير الظاهر العائد إلى المتكلم المعظم (الله) في لفظ: ﴿آياتنا﴾، ولفظ ﴿بلوناهم﴾ ولفظ ﴿بلونا﴾، وفي الضمير المستتر العائد إلى المرجع نفسه في لفظ ﴿سنسمه﴾ توجد إحالات خارج النص، تحيلكما ذكرنا على لفظ الجلالة "الله"؛ وذلك لأن المرجع في مقام المتكلم، ومتى كان كذلك عدت الإحالة خارجية أو خارج النص، وذلك حين الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النّص مطلقًا، غير أنه يمكن التعرف عليه من سياق الموقف، وتسمى أيضاً إحالة خارج اللغة أو تسمى الإحالة المقامية[2].

واستعمال الضمير المنفصل (نحن) والضمير المتصل (نا) الدال على الجمع المتكلّم يكون للتعظيم إذا كان المتكلم مفرداً كقوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ سورة الحجر، فالمراد بالضميرين (نا، نحن) التعظيم قطعًا لاستحالة التعدد أو إرادة مع الجمع، ولا يؤثر ذلك في تشكيل الإحالة، بل تتشكل والمعنى كما هو، إذ المعيار فقط أن يعرف المرجع أهو الواحد أم الجمع، فعبهما تتشكل الإحالة الخارجية[3].

---

[1]– عباس حسن، النحو الوافي، ط3، دار المعارف، مصر، سنة: 1980م، ص، 474/3.

[2]– محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار الآداب القاهرة، ص، 160.

[3]– عباس حسن، النحو الوافي، المرجع السابق، ص، 476/3.

I. 10- السياق (Contexte):

من المؤكد أن صدور الكلام لا يخلو من غاية يتغيلها وهدف يرمي إليه ودافع يدفع إليه إذ لا يعقل أن يكون الكام اعتباطًا، ولا لمجرد الكلام فقط، إنما كان الهدف منه إبلاغ شيء ما وتحقيق الواصل من خلاله، فعملية التواصل اللغوي تقوم بين طرفين، أولهما المتكلم الذي يرسل الرسالة، والأخرى المتلقي الذي يقوم بعملية تحليل وتفسير الرسالة انطلاقًا من السياق الذي وردت فيه.

لعل نظرية السياق تمثل أهم النظريات التي تناولت المعنى بشقيه – الداخلي والخارجي أو الأساسي والإضافي – ويمثل الجانب اللغوي الداخلي العناصر المقالية داخل النص، بينما يمثل الجانب الخارجي تلك العناصر الغير لغوية المصاحبة للنص.

وتُعد فكرة السياق وعلاقته بالنص إحدى القضايا الأساسية التي شغلت الفكر الإنساني منذ أقدم عصوره حتى الآن، فلقد كانت على امتداد المسار التاريخي لهذا الفكر بمثابة نقطة تواصل بين كثير من العلوم وحقول المعرفة بدءًا من علوم الخطابة والبلاغة في التراث اليوناني القديم، مرورًا بعلوم التفسير والبلاغة وأصول التشريع وغيرها في تراثنا العربي، ووصولًا إلى التداولية ولسانيات النص وعلم اللغة الاجتماعي وغيرها في العصر الحديث.

إن السياق يضطلع بدور مهم في ترابط النص، وانسجام أجزائه، بحيث يبدو النص وحدة واحدة أو كلًا متحدا لا انفصام بين عراه، وينطوي السياق في علم النص تحت لواء التداولية، وتعني المعيار الذي يعنى بالشروط اللازمة؛ لكي تكون الأقوال اللغوية (مقبولة وناجحة ومتلائمة) في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم.

وإذا كانت الدلالة تستخدم مفهومًا مجردًا بالغ الجدوى هو (الواقع) أي العالم الممكن، فإن التداولية تستخدم مفهومًا جديدًا يدل على الموقف التواصلي هو (السياق)،

فالتداولية إذن تعني بالشروط والقواعد اللازمة للملائمة بين أفعال القول، ومقتضيات المواقف الخاصة به، أي للعلاقة بين النص والسياق[1].

وهذه العلاقة بين النص والسياق هي ما يعبر عنها في التراث البلاغي العربي بمقولة :(لكل مقام مقال) أي أنه لا بد من التوافق بين النص وما يعبر عنه، أو توافر الشروط اللازمة للملائمة بين جملة أفعال القول ومتطلبات المواقف الخاصة به، أي الاهتمام بالسياق.

ومن ثَمّ "فالتحليل النصي لا يعتمد على الروابط الموجودة بين أشتات النص الداخلية فقط، بل يتعداها إلى الروابط الخارجية، ومن ثُمّ يبرز دور التحليل النصي في بيان وظيفة السياق في تفسير أبعاد النص التي قد تبدو متنافرة، فيقرب السياق بينها لتظهر جلية متجاذبة [2]

إذن المبدع عندما يعمد إلى تكوين جملة لغوية يقوم بعمليتين متكاملتين، الأولى (يجري عملية تحضير ما يقال) وتسمى هذه العملية بـــ (الإيجاد)، وفي الثانية (يجري تنظيم المادة المحصل عليها) لما تَمّ اختياره من تحضيره من مفردات مخزونه اللغوي، بحيث يتلاءم هذا التنظيم مع النسق الذي يدور فيه الكلام، وتسمى هذه العملية بـــ (الترتيب)[3]، ففي المرحلة الأولى أي (الإيجاد) نبحث عن أفكار، وفي الثانية أي (الترتيب) نرتب هذه الأفكار في نظام مبين.

واللغة – كما هو معروف – لها نظامها الخاص الذي يحكمها، ولها نظام لمفرداتها اللغوية، فالخبر لا بد وأن يجاور المبتدأ، والفعل مع الفاعل والمفعول، ويسير نظام اللغة على اطراد هذه الظواهر.

---

[1]– د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ط: 1992 د/ت، د/ مترجم، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص، 20.

[2] – د. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،ج1، ط1، 1421ه– 2000، كلية الآداب، جامعة طنطا، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ص، 55/1.

[3] – هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، ترجمة وتعليق د. محمد العمري، بيروت– لبنان، 1999، ص، 33.

ولكن عندما يلجأ المبدع إلى تطبيق هذه النظم في شكل أدبي فإنه لا يحافظ على هذا الاطراد، وإنما تحكمه سياقات الكلام.

أي أن المتحدث يتمتع بحرية متزايدة في توفيق وتأليف الوحدات اللغوية، ابتداء من الحروف إلى الجمل، مع ملاحظة انعدام الحرية للتأليف النظامي للحروف لأن قوانين اللغة لا تسمح بتغيير طبيعتها فكأن هذه هي نقطة الصفر في حركة الاختيار الحر، وهناك حرية محدودة في تجميع الحروف لتكوين كلمات نظراً للقوانين التي تحكم عملية خلق الكلمات، أما حرية التوفيق بين الكلمات المختلفة في الجمل فهي واقعية بالرغم من خضوعها لقواعد النحو ونماذجه وتبقى حرية التوفيق بين الجمل من أوسع الحريات، إذ أنها لا تخضع للنحو وإنما لقوانين التماسك الفكري التي لا تتصل بالميدان اللغوي؛ فالحرية السياقية إذن متدرجة واحتمالية فهي تتناسب عكسياً مع حجم الوحدات وتزيد كلما انتقلنا من مستوى صغير إلى ما يكبره[1].

وكان لهذه النظرية القدر الأوفر من التنقيب والبحث سواء في الموروث العربي أو الدراسات اللغوية الحديثة أو الغربية، وذلك لكونها تعتمد على فهم النصوص وكشف دلالاتها داخلياً وخارجياً،

فالسياق يشمل عناصر دلالية تستفاد من القول ومحيطه، وهو بأصنافه وأنواعه يوجه المعنى ويحدده؛ لأن معنى الكلمة يستفاد من استعمالها في اللغة، وإذا كان للسياق هذا الدور البارز للوصول إلى الدلالة واحتوائها، كان لزاماً قبل الولوج إلى دراسة متعلقاته ومباحثه معرفة ماهيته وحقيقته.

وبِناءً على هذا فإن غايتنا المتوخاة في هذا المبحث هي إبراز فاعلية السياق في تماسك النص وانسجام أجزائه، وليس التتبع التاريخي لمسار السياق في ميادين تلك العلوم سالفة الذكر.

---

[1]– د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، الطبعة الأولى:1419ه، 1998م، دار الشروق: القاهرة، ص، 304.

I. 10-1- مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح:

I. 10-1-أ- التعريف اللغوي:

جاء في المعاجم العربية في مادة سوق "يقال: ساق إلى مَهْرَها وصداقها سياقًا: أرسله"[1]، ويقال: " تَساوقت الإبل: تتابعت"[2]، وسياق الكلام: تتابعه، وأسلوبه الذي يجري عليه[3].

إذن إضافة إلى ما أشار عليه السياق في المعاجم فإنه يدل على دلالة مجازية، متمثلة في سياق الحديث الذي يُعد مجال دراسة هذا المبحث.

I. 10-2- ب- التعريف الاصطلاحي:

يذكر كثيراً من الباحثين أنه ليس من السهل تقديم تعريف دقيق للسياق، ولعل هذه الصعوبة هي التي جعلت الذين كتبوا في هذا الموضوع يغضون الطرف عن تعريف السياق وينتقلون إلى تبيين أهميته في دراسة المعنى، وإظهار وظائفه وعناصره[4].

والسياق هو "البيئة اللغوية التي تُحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة، وتُستمد أيضًا من السياق الاجتماعي، وسياق الموقف، وهو المقام الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره، من متكلم ومستمع، وغير ذلك من الظروف المحيطة، والمناسبة التي قيل فيها الكلام"[5].

فالمقصود بالسياق كل ما أحيط بالنص من أحداث وملابسات إلى جانب شخصية كل من المتكلم والمستمع ومن يحيطون بهما إلى جانب الظروف البيئية – الزمانية

---

[1]– الزّبيدي، تاج العروس،ج11، تح: محمود محمد الطناحي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1396ه- 1976م، ص، 475/25.

[2]– الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود،ج1،ط1، 1419ه- 1998م، ص، 481/1.

[3]– المعجم الوسيط – مادة (سوق)، ص، 465/1.

[4]– جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: د. عباس صادق الوهاب،ط1، بغداد،1987، ص، 241 وما بعدها.

[5]– د. فوزي عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق،ج1، مجلد1، ط1، دار المعرفة الجامعية،2011، ص، 111.

والمكانية – فكل هذه العناصر تُساعد على كشف المعنى وتوضيحه دون غموض أو تعقيد.

ويتكون مصطلح السياق (Contexte)من مقطعين texte وCon أي مع النسيج، حيث استعمل المصطلح الأول ليعني الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية، ثم بعد ذلك أصبح يُستعمل بمعنى النص، أي تلك المجموعات من الكلمات المتراصة مكتوبة أو مسموعة، إضافة إلى معنى جديد متمثل في ما يحيط بالكلمة المستعملة في النص من ملابسات لغوية وغير لغوية[1].

فالسياق لفظ يتكون من سابقة (Con) تعني المشاركة أي وجود أشياء مشتركة تقوم بتوضيح النص، وهي فكرة تتضمن أموراً أخرى تحيط بالنص، كالبنية المحيطة والتي يمكن وصفها بأنها الجسر بين النص والحال[2].

إن تحديد معنى الكلام بشكل دقيق يتطلب الاستعانة بوسائل أخرى غير المعجم ومنها معرفة نسق الكلام ونظمه، وكذلك الموقف والحالة الكلامية التي ترافق عملية الكلام. فدراسة معاني الكلام ودلالاته تتطلب تحليلًا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي؛ لأن "معنى الكلمة يتعدل تبعًا لتعدد السياقات التي تقع فيها اللفظة" [3]

وقد اتخذ مصطلح السياق عدة معان هي:

– ما يحيط بالوحدة اللغوية المستعملة في النص.

---

[1]– د. عيد بليغ: السياق وتوجيه دلالة النص، ص. 127، د. كريم زكي، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ص،251.

[2]– د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،ج1، ط1، 1421ه– 2000، كلية الآداب، جامعة طنطا، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ص، 108/1.

[3]– د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، بلد النشر: مصر، دار النشر: عالم الكتب، 1418ه، 1998م، القاهرة، ص، 69 وما بعدها.

– كما يعني قيود التوارد (المعجمي) التي تراعى عند استعمال أكثر من وحدة لغوية.

– كما يعني النص اللغوي الذي يتسم بسعة نسبية، سواء أكان ذلك النص مكتوباً أم متكلماً به.

– كما يعني أيضاً الأحوال والمواقف الخارجية ذات العلاقة بالكلام[1].

ويرى (هاليدي) أن السياق: "هو النص الأخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية"[2].

وتقول (بروس أنغام): "السياق يعني واحداً من اثنين: أولًا: السياق اللغوي: وهو ما يسبق الكلمة، وما يليها من كلمات أخرى، والأخر: السياق غير اللغوي: أي الظروف الخارجية عن اللغة التي يرد فيها الكلام"[3].

ويرى (ستيف أولمان) أن كلمة (السياق) قد استعملت حديثًا في عدة معان مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي، أي: "النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم" [4]، أي أن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلها والكتاب كله. كما ينبغي أن يشمل – بوجه من الوجوه – كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن.

---

[1]– د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ط1991،1، ص، 45.

[2]– رَدّة الله بن رَدّة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق،ج1، ط1، بلد النشر: السعودية، دار النشر: جامعة أم القرى، 1424، مكة المكرمة، ص، 51.

[3]– رَدّة الله بن رَدّة بن ضيف الله الطلحي، المرجع السابق، ص، 51.

[4]– ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، الطبعة: 1975م، مجلد1، تر: كمال محمد بشر، الناشر: مكتبة الشباب، ص، 61 وما بعدها.

ويقول (فندريس): "الذي يعين قيمة الكلمة هو السياق، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتًا، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الرغم من المعاني المتفرعة التي في وسعها أن تدل عليها. والسياق أيضًا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها. وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية" [1].

واستعمل هذا المصطلح (مالينوفسكي) الذي يعزو اللغويون المحدثون إليه نظرية السياق، إذ تناول اللغة في دراسته لأثرها في المجتمعات البدائية، بوصفها صيغة من الحركة، وليست أداة انعكاس جامدة، فاللغة الحية يتحكم بها السياق- كما يستعملها الناس- وأن وظيفة اللغة تتجاوز إيصال الفكرة والانفعال، فهي نوع من السلوك، مما يعلل الأخذ بالمقام (الموقف الكلامي) أو (القرائن الحالية)، وهي جميع ما يحيط بالنص. فالكلام والموقف مرتبطان في أداء المعنى بما يسمى: سياق الموقف[2].

ومن الجديد الذي اقترحه مالينوفسكي توظيف مصطلح (سياق الحال) توظيفًا خاصًا في إطار ما يُعرَف بالسياق الثانوي أو ما يدور حول النص من سياقات غير لغوية تُسهم بدورها في إضاءة جوانب هذا النص[3].

واقتفى فيرث أثر مالينوفسكي، وطور نظريته، ورفض المناهج البعيدة عن الواقع اللغوي في دراسة اللغة. وتتمثل نظريته في دراسة المعنى من خلال السياق بعناصره اللغوية والاجتماعية، إذ "المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية"[4]، أي وضعها في سياقات مختلفة؛ لأن معنى الكلمة عند السياقيين هو استعمالها في اللغة، فإن

---

[1]- ج . فندريش: اللغة، المحقق/المترجم: عبد الحميد الدواخلي محمد القصاص، الطبعة الأولى: 2014، ص،230.

[2]- بالمر: علم الدلالة، تر: دكتور إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، جامعة عين شمس، 1995م، ص، 61.

[3]- بالمر: علم الدلالة، ص،63، د. محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ص، 310.

[4]- بالمر: علم الدلالة، المرجع نفسه، ص، 63 وما بعدها.

"معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها[1]

والمعنى في نظرية (فيرث) مركب من الوظائف اللغوية (الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية وسياق الحال الشامل لكل ما يتصل بالمتكلم والمخاطب والظروف الملابسة والبيئة). ومن ذلك الصمت والضحك والإشارة[2]

هذه الرؤية تسمح لنا أن نقول أن السياق هـــو جوهر المعنى المقصود في أي بناء نصي أو كلامي، فهو لا يلقي الضـــوء علـــى الكلمـــة والجملة فقط، وإنما على النص المكتوب والكلام المجمل من خلال علاقة المفردات بعضها ببعض في أي سياق من السياقات المختلفة.

ويمكننا أن نقول: "أن السياق لا يقف عند حد معين يمكن تحديده فيه، كما يمكننا القول بأن: سياق الشيء يحدد بالشيء نفسه وبهذا المفهوم لا يتحدد السياق في إطار بعينه فسياق النمط اللغوي أو النص يُعد نمطًا داخلًا في سياق أكبر، والنص نفسه يُعد سياقًا للوحدات الأصغر (الجمل والتراكيب) التي وردت فيه، والجملة سياق للكلمة المفردة التي وردت فيها، إذ تتحدد بهذه الجملة دلالة الكلمة المفردة، والكلمة المفردة سياق للحروف والأصوات"[3].

ا. 10-1-ج- خصائص السياق:

يذهب (بروان ويول) كإطار عام إلى أن محلل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب، (والسياق لديهما يتشكل من المتكلم/الكاتب

---

[1]- د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المرجع السابق، ص، 68 وما بعدها.

[2]- د. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، المرجع السابق، ص، 312.

[3]- د. عيد بليغ، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، السياق وتوجيه دلالة النص، الطبعة الأولى: 1429ه- 2008م، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، ص،127.

والمستمع/القارئ والزمان والمكان)؛ لأنه يؤدي دوراً فعالًا في تأويل النص/الخطاب، بل كثيراً ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين[1].

وفي هذا الصدد يرى (هايمس Hymes) أن للسياق دوراً مزدوجًا إذ (يحصر مجالات التأويلات الممكنة ويدعم التأويل المقصود).

وفي رأي هايمس أن خصائص السياق قابلة للتصنيف إلى ما يلي[2]:

أ/ المرسل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.

ب/ المتلقي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.

جـــ/ الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.

د/ الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.

هـــ/ المقام: وهو زمان ومكان الحدث التواصلي، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه.

و/ القناة: الطريق التي يتم بها التواصل بين المشاركين في الحدث لكلامي: كلام، كتابة، إشارة

ز/ النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.

حـــ/ شكل الرسالة: ما هو الشكل المقصود: دردشة، جدال، عِظة، خرافة، رسالة غرامية، قصيدة.

ط/ المفتاح: ويتضمن التقويم: هل كانت الرسالة موعظة حسنة؟ شرحًا مثيراً للعواطف.

ي/ الغرض: أي أن ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي.

---

[1]– د. محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، الطبعة الأولى: 1991، دار النشر: المركز الثقافي العربي، ص،52.

[2]– براون ويول، تحليل الخطاب، تر وتع: د. محمد لطفي الزليطني، د. منير التريكي، الطبعة: 1418ه– 1997م، الناشر: جامعة الملك سعود– النشر العلمي والمطابع– ص،47 وما بعدها، د. محمد خطابي، لسانيات النص، ص، 52.

ويشير (هايمس) أن بإمكان المحلل أن يختار الخصائص الضرورية لوصف حدث تواصلي خاص، بمعنى أن هذه الخصائص ليست كلها ضرورية في جميع الأحداث التواصلية، ولكن بقدر ما يعرف المحلل أكثر ما يمكن من خصائص السياق بقدر ما يحتمل أن يكون قادراً على التنبؤ بما يحتمل أن يقال.

بالإضافة إلى تصنيف هايمس هناك محاولة أخرى قام بها **(ليفيس Levys)**، ولكن غرضه من تحديد خصائص السياق يختلف عن غرض هايمس، وهو معرفة صدق أو كذب جملة ما، فالغرض إذن منطقي. أما هذه الخصائص في نظره هي[1]:

أ/ العالم الممكن: بمعنى أخذ الوقائع التي قد تكون، أو مكن أن تكون، أو هي مفترضة، بعين الاعتبار.

ب/ الزمن: اعتبار الجمل المزمّنة وظروف الزمان، مثل: اليوم، الأسبوع المقبل ....

جـــ/ المكان: اعتبار جملة مثل: "إنه هنا.... "

د/ المتكلم: اعتبار الجمل التي تتضمن إحالة إلى ضمير المتكلم (أنا – نحن....).

هـــ/ الحضور: اعتبار الجمل التي تتضمن ضمائر الخطاب (أنتَ – أنتم ....).

و/ الشيء المشار إليه: اعتبار الجمل التي تتضمن أسماء الإشارة (هذا – هؤلا)

ز/ الخطاب السابق: اعتبار الجمل التي تتضمن عناصر مثل: (هذا الأخير، المشار إليه سابقًا ....).

حـــ/ التخصيص: سلسلة أشياء لا متناهية (مجموعات أشياء، متتاليات أشياء.....).

[1]– د. محمد خطابي، لسانيات النص، المرجع السابق، ص،54.

فمن السهل ملاحظة أن هذه الخصائص متقاربة لدى كل من (هايمس وليفيس)، فما سماه هايمس (مقاماً) قسّمه ليفيس إلى (زمان ومكان)، وما سماه هايمس (موضوعاً) قسّمه ليفيس إلى (شيء مشار إليه) و(خطاب سابق).

I. 10-2- أهمية السياق:

يعتمد فهم النص – أي نص – على مجموعة من العوامل والمعامل، سواء أكانت داخلية أم خارجية، وقد تنبه لها العلماء – كلٌ في مجال اختصاصه – فعرضوا لها تأصيلًا وتفصيلًا، بغية الوصول إلى تفسير للنص يكشف المراد منه.

وإن هذه العوامل – على تفاوت بينها في الآثار والثمار – ذات تأثير مباشر على المعني الدقيق للكلمات، وهذا أمر لم يعارض فيه أحد معارضة جدية، ويُعد السياق من أبرزها، وأكثرها أثراً في تحديد المعنى؛ لأن اللغة ظاهرة اجتماعية، فيكون الفهم متوقفًا على النظر إلى الكلام في ضوء السياق، سواء أكان هذا السياق كلامياً أم غير كلامياً.

وقد عُني العلماء بنظرية السياق كثيراً، حتى صارت عندهم الركن الرئيس في تحليل الخطاب، وفهم النص، حين أدركوا أهمية السياق في هذا المجال، ولو متأخراً، وفي هذا يقول **(براون ويول):** "إن الفكرة القائلة بإمكان تحليل سلسلة لغوية (جملة مثلًا) تحليلًا كاملًا بدون مراعاة السياق قد أصبحت في السنين الأخيرة محل شك إذ كان بروز هذا الاهتمام متأخراً عند غيرنا، فإن عناية علمائنا بالسياق كانت مصاحبة للقرآن الكريم، وكان له استحضار مؤثر في فهم النص العربي بعامة"[1]

ويدلل **(جون لاينز)** على أهمية السياق بقوله: "أعطني السياق الذي وضعت فيه الكلمة، وسوف أخبرك بمعناها"، ويضيف "أنه من المستحيل أن تعطى معنى كلمة دون وضعها في سياق، وتكون المعاجم مفيدة بقدر ما تذكره من عدد سياقات الكلمات وتنوعها"، ويرى أتباع النظرية السياقية أن الكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي

[1]– براون ويول، تحليل الخطاب، المرجع السابق، ص، 32.

تظهر فيه، وأن الكلمات لا تظهر إلا مرة واحدة في مجموع الوثائق المتوافرة عن حالة لغوية هي في غالب الأحيان مستحيلة الفهم، وقد قدم بعضهم التعبير المتطرف عن هذه النظرية، حيث يقول: "ليس للكلمة دلالة، وإنما لها استعمالات فحسب" ولذلك **يقول أنطوان ماييه:** "إن معنى كلمة ما لا يمكن تحديده إلا بفضل معدل الاستعمالات اللغوية من ناحية والأفراد والفئات في مجتمع واحد من ناحية أخرى" [1].

فالمرسل يبعث برسالة إلى المرسل إليه، ولكي تعمل هذه الرسالة عملها لا بد لها من سياق تندمج في إطاره، كما لا بد من افتراض (الشفرة) التي يحل المرسل إليه على الرسالة أساسها، وكذلك لا نلبث عند التحليل التفصيلي أن نتبين ضرورة الإشارة إلى محور الاتصال؛ أي إلى القناة المادية للتوصيل سواء أكانت السمع أو البصر في القراءة، ويشار إليها عادة بخط متقطع من النقاط للإشارة إلى دورها في النقل، كما ينبغي الانتباه إلى الرابط النفسي بين الطرفين الذي يسمح بإقامة الاتصال [2].

ويشير د. عبد الفتاح البركاوي بأن للسياق دوراً كبيراً في فهم المعاني المعجمية، وقد أشار إلى التفاف الزمخشري إلى المعنى المجازي للكلمة في اللغة العربية، وأن السياق هو الذي يحكم على الكلمة بأنها في معناها الحقيقي أو في معناها المجازي، ثم أشار إلى أن السياق يتوزع بين المفاهيم الآتية:

- تتابع الكلمات في الجمل، أو الجمل في النصوص.
- المقام الذي يصاحب الكلام.
- القصة أو الظرف الخارجي الذي يمكن فهم الكلام على ضوئها [3].

---

[1]– د. محمد حماسة عبد اللطيف، الإبداع الموازي، الطبعة الأولى: 2001م، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص،33.

[2]– د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، الطبعة الأولى: ه 1419، 1998م، دار الشروق: القاهرة، ص،257.

[3]– د. عبد الفتاح البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، المرجع السابق، ص، 25 وما بعدها.

كما أشار د. محمد حماسة إلى أهمية السياق في الوصول إلى (المعنى النحوي الدلالي) فقال: "ولا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم"[1].

كما وأشار إلى التفاعل بين العناصر النحوية والدلالية، فكما يمد العنصر النحوي العنصر الدلالي بالمعنى الأساس في الجملة يمد العنصر الدلالي العنصر النحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده وتمييزه فبين الجانبين أخذ وعطاء وتبادل تأثير مستمر. فلا يمكن بحال نكران تأثير دلالة سياق النص اللغوي وسياق الموقف الملابس له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف، والتقديم والتأخير. ولا يخفى أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها[2].

وتظهر أهمية السياق في الاعتناء بالجانب الاجتماعي للمعنى (أو سياق الحال أو المقام)، فالمستوى اللغوي يقتصر على الكشف عن المعنى المقالي (الحرفي) منعزلًا عن المحتوى الاجتماعي والثقافي حسب ما تؤديه القرائن، أي: أن المعنى الدلالي يتَأَتَّى من السياقين كليهما فعبارة متداولة مثل (أهلًا وسهلًا) تقال عادة للترحيب، وتدل في موقف أخر على التوبيخ، كأن يقولها (مدير) بطريقة معينة لبعض موظفيه المتأخرين عن موعد العمل، وقد تستعمل للسخرية أو غير ذلك. وعند قطع النص عن السياق، أو عند غيبة بعض عناصره يصعب فهمه.

---

[1]– د. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، الطبعة الأولى: 1420 ه– 2000م، ج1، بلد النشر: مصر، دار النشر: دار الشروق، القاهرة، ص،98.

[2]– د. محمد حماسة، النحو والدلالة، المرجع نفسه، ص،113.

فتتبع أهمية السياق من خلال الدور الذي يؤديه في فهم المعنى، ذلك أن الكلمة تكتسب مدلولها من السياق، وتتغير هذه الدلالة بتغيره، وإن كان هذا لا ينفي وجود دلالات للكلمة المفردة لو خلت منها لبطلت وظيفتها في السياق، ومن ثُمَّ يأتي السياق ليحدد أحد تلك الوظائف الدلالية للكلمة.

وعلى ما تقدم فإن للسياق أهمية كبرى في الدرس الدلالي تكمن في فوائد عديدة، وأكثر ما تظهر أهمية السياق عندما يلتبس المعنى، فالسياق هو الذي يزيل الإبهام عن المجمل، ويوضح تخصيص العام أو تقييد المطلق، وهو الذي يحدد الدلالة المقصودة عند تنوع دلالات اللفظ الوقوف على المعنى المراد، وتحديد دلالة الكلمات، ورد المفهوم الخاطئ ... وغيرها. فالسياق من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم.

ا. 10-3- دور السياق في تحديد المعنى:

يلعب السياق دوراً بارزاً في جلاء المعنى، والنظرية السياقية هي التي تحاول تفسير الألفاظ اعتماداً على السياق الذي ترد فيه، حيث تتعدد الدلالات بتعدد السياقات والسياق هو الذي يحدد الكلمات من المعاني المتراكمة في ذهن الإنسان، وهذه من أهم مهامه، وهو الذي يفسر لنا فيما إذا كانت الكلمة تحتمل معنى واحداً أو معاني متعددة، فكلمة مثل (العقبة) في قولنا: (اجتزت العقبة بنجاح)، فقد تعني (الشدة أو المحنة) أو (الحاجز) أو (العارض)، لذا نحن نستعمل اللفظ دون لبس باعتمادنا على السياق، فالسياق يكسب اللفظ دلالته عند التطبيق الذي لا يلتبس بمعنى أخر في الإدراك، كما أن السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضعي صرف أو أنه قصدها أساسا التعبير عن العواطف والانفعالات أو إلى إثارة هذه العواطف والانفعالات، كما أن الجانب الانفعالي (العاطفي) المعنى الكلمات من العوامل التي تعتمد على النص اعتماداً كبيراً، وتكتسب الكلمة المعنى الانفعالي لها بتأثير من السياق، فكل كلمة تكتسب عملياً مبالغة انفعالية في النغمة في سياق مناسب، وغلى خلاف ذلك فإن الكلمات التي لها أهمية انفعالية قوية يمكن استخدامها في مناسبة

ما بطريقة موضوعية بحتة، ويتضح هذا بصفة معينة في مجموعة معينة من الكلمات نحو (حرية وعدل) التي قد تشحن في كثير من الأحيان بمضمونات عاطفية بل بعض الكلمات المستعملة في الحياة اليومية العادية قد تكتسب نغمة عاطفية قوية غير متوقعة في المواقف الانفعالية[1]، فالسياق هو الحل الأمثل للكثير من الإشكالات المتعلقة بالمعنى، فهو القرينة الكاشفة عن المراد في المفردة.

ويفهم مما سبق أمران مرتبطان ببعضهما البعض يكمل أحدهما الأخر:

الأول: أن معنى اللفظ جزء من السياق مرتبط به ارتباطا وثيقا.

الآخر: السياق مرتهن بنصوص تامة التشكيل والتركيب، وأن معرفة معناه يقوم على أساس معرفة معاني الألفاظ، ومن هنا نرى أن المعنى السياقي للعبارة يتكون من معاني الألفاظ التي يتألف منها، وكيفية استعمال هذه الألفاظ في نص تلك العبارة اللغوية، فأيّة لفظة ليس لها إلا معنى واحد يحدده السياق. يقول د. تمام حسّان: "معنى الكلمة في المعجم (متعدد ومحتمل) ولكن معنى اللفظ في السياق واحد لا يتعدد؛ لأنه:

– يوجد في السياق قرائن تُعين على اختيار معنى واحد من بين المعاني المختلفة التي نجدها في المعجم.

– ولأن السياق يرتبط بمقام معين يحدد المعنى في ضوء القرائن الحالية[2].

في حين أن المعنى المعجمي ليس كل شيء في إدراك الكلام، فهناك عناصر ذات دخل كبير في تحديد المعنى، فلا يتحدد المعنى المقصود للمفردة الكلامية إلا عن طريق سياق النص وما يحيط به من ظروف ووقائع، وما المكانة الهائلة التي حظي بها السياق في الفكر اللغوي الغربي إلا لقدرته الكبيرة على توجيه الدلالة وترجيحها وتحديدها، حيث نجد أن الغرب أطلقوا على السياق نظرية سميت بـــ (المنهج العملي أو السياقي)

---

[1]– عثماني جميلة، النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين، ص،20.

[2]– د. تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، الطبعة: 1994، د/ت، مطبعة النجاح الجديدة: الدار البيضاء ص،316.

وكان رائدها وزعيمها الإنجليزي (فيرث)، فقد كان يرى أن الدلالة لا تنكشف إلا بعد وضعها في تراكيب لغوية[1]، فالاستخدام هو الذي يمنح اللفظة معناها ودلالاتها.

ويقرر (أولمان) أن هذه النظرية هي أساس لعلم المعنى (إذا أخذت بدقة)، وأنها أحدثت ثورة في التحليل الأدبي، وأعطت الدراسة التاريخية للمعنى أسساً أكثر ثباتاً، ووضعت مقاييس لشرح الكلمات عندما أخذت بترتيب الحقائق في سلسلة من السياقات ينضوي كل منها ضمن سياق أكبر.

ولكل منها وظيفة بنفسه، ويكون عضواً في سياق أخر فيما يمكن تسميته بسياق الموقف، وقد يعسر تحقيق جوانب هذا المنهج، لكنه يزودنا بمقاييس للحكم الصحيح على النتائج[2].

إذن فالسياق هو الضابط الدلالي المدرك للمعنى، فهو يحدد قرائن المعنى من خلال المتلازمات الأسلوبية للنص، ويعتمد على عناصر لغوية في سياق النص يمكن من خلالها للمتلقي تتبع عناصره اللغوية لتحديد دلالة المعنى الأرجح، وهذه القرائن مثل: "ذكر جملة سابقة أو لاحقة أو عنصر في جملة سابقة أو لاحقة، أو في الجملة نفسها تحول مدلول عنصر أخر إلى دلالة غير المعروفة له"[3].

I. 10-4- أنواع السياق:

نتكلم لغة واحدة، نفهم حروفها وكلماتها. ولكن هذه اللغة تسير في سياقات وظروف مختلفة مما يجعل معاني الخطاب/النص ودلالاتـــه تتغير، وبسبب هذه التغيرات نختلف – نحن المتلقيين – في فهم الخطاب/النص ونتباين في مقاربته. وينشأ

---

[1]– د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، بلد النشر: مصر، دار النشر: عالم الكتب، 1418ه، 1998م، القاهرة، ص، 68 وما بعدها.

[2]– ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، الطبعة: 1975م، مجلد1، تر: كمال محمد بشر، الناشر: مكتبة الشباب، ص، 67.

[3]– د. محمد حماسة، النحو والدلالة، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، الطبعة الأولى: 1420 ه- 2000م، ج1، بلد النشر: مصر، دار النشر: دار الشروق، القاهرة، ص،116.

عن الاختلاف فـــي هذا الفهم اختلاف في الرؤية والتقدير والحكم، زيادة على ذلك فإن تعدد أنـــواع الكلمـــة الواحدة يرجع إلى تعدد المواضع التي ترد فيها, والذي يؤدي بدوره إلى أنواع عديـــدة من السياقات، ويرى أصحاب نظرية السياق أن معنى الكلمة هو (استعمالها في السياق) ولهذا صرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال وضع الوحدة اللغوية في ســـياقات مختلفة.

ومن أجل تركيزهم على السياقات التي ترد فيهـــا الكلمة وأهمية البحث عن ارتباطات الكلمة بالكلمات الأخرى نفوا أن يكون الطريق إلـــى معنى الكلمة هو رؤية المشار إليه أو وصفه أو تعريفه, وعلى هـــذا فدراســـة معـــاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها, حتى مـــا كـــان منهـــا غيـــر لغوي...[1].

ويمكن تقسيم السياق تبعاً لذلك إلى ضروب مختلفة، فهناك سياق تداولي، وسياق نفسي (إدراكي وعاطفي)، وسياق اجتماعي ثقافي حيث تأخذ السياقات التاريخية والسياقات الاجتماعية الاقتصادية مكانها.

I. 10-4-أ- السياق التداولي: (النص كفعل كلامي):

لا قيمة للعناصر اللغوية مهما كان نوعها أو المتتاليات التعبيرية إذا كانـــت بعيـــدة عن سياقها، فلا بد من دراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم إلى السامع داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب؛ لكي تتضـــح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب والتي يرمي إليها المتكلم. وكل هـــذه الأمور تهتم بها الدراسة التداولية.

إذ يقوم السياق التداولي على تأويل النص كفعل كلامي, أو كسلسلة أفعال كلامية, فالوعود والتهديدات والتأكيدات والأسئلة والأوامر ...هي أمثلة على الأفعال الكلامية, ونقوم بفعل كلامي معين حين ننطق بجملة أو عـــدة جمل في سياق ملائم لها.

[1]- د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المرجع نفسه، ص، 69.

وإذا نظرنا إلى المكونات التي تصنع هذا اللون من السياق وجدناها حسب رؤية فان ديك تتألف من "كل العوامل النفسية والاجتماعية التي تحدد نسقيًا لكي تلائم أفعال اللسان، وتتمثل هذه الأفعال في المعرفة, والرغبات, أو الإرادة والتفضيل, وحكم مستخدمي اللغة وإنجازاتهم الاجتماعية من جهة أخـــرى، **مثل:** (علاقة السلطة والصداقة) ويمكن أن يوجد أيضًا فـــي بعـــض الحـــالات تضـــييق مؤسسي على انجاز أفعال اللسان (توقيـــف شـــخص, قـــرار بطـــي الملـــف, القيـــام بامتحان[1] ".

وهذا يدعو إلى تأكيد أنه لا نكتفي بدراســـة الملفوظـــات اللغويـــة أو النصوص من حيث بناها فحسب, وإنما أيضًا من حيث وظائفها, بمعنى أن دراســـة أي خطاب/نص لا تكون بهدف معرفة شكله ومحتواه، وإنما الهدف منها أيضًا وأساسًا هـــو معرفة الوظائف التي ينجزها ويحقق من خلالها كينونـــة الخطـــاب/الـــنص وفاعليتـــه التواصلية بين مكونات الحدث اللغوي.

وبما أن النصوص هي بالإضافة إلى أشياء أخرى، تتابعات من الجمل، فيمكننا أن نحللها أيضًا على المستوى التداولي بوصفها "تتابعات من أفعال اللسان"[2].

إذن فإن فعل اللسان يكون ملائمًا لسياق معـــين عندما تكون كل الشروط الضرورية لإنجاز هذا الفعل اكتملت [3]، وهذه هي مهمة التداولية.

وبالإضـــافة إلـــى تحديد هذه الشروط التي يجب أن تتوفر في خطاب/النص ما, يبحث الســـياق التـــداولي أيضًا عن الطريقة التي يتم من خلالها ربط مكونات الخطاب وعناصره التكوينية بعضـــها ببعض.

---

[1]– منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص،ج1، ط1، بلد النشر: المغرب، دار النشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004م، ص، 172.

[2]– منذر عياشي، المرجع نفسه، ص، 172.

[3]– منذر عياشي، المرجع نفسه ص، 172.

I. 10-4- ب- السياق الإدراكي أو المعرفي: (فهم النص):

وعندما تحدث فان ديك عن السياق الإدراكي ركز فيه على أنه "يجب على المستمع/القارئ لكي يستطيع أن يستعمل نصاً في وضع تواصلي, أن يفهم هذا النص"[1].

كما أشار فان ديك إلى مجموعة من المعطيات والتي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لكي نصل إلى فهم النص وهي:

- لنتمكن من إقامة هذه الروابط على المستعمل أن يستعين بمعرفته للعالم انطلاقًا من مكتسباته المعرفية المخزنة في الذاكرة [2]، إن الفهم الفعال لعناصر النص يكمن في ذاكرته العملية, وهي التي تخزن فيها المعلومات غير أنها تملك طاقة محدودة فبعد أن تمتلئ يجب أن تخزن المعلومات في الذاكرة الطويلة المدى. ولكن للحكم على النص ما بأنه منسجم ينبغي أن تحتفظ ببعض المعلومات في الذاكرة العملية, وكلما كانت قيمة هذه المعلومات أكبر أصبح استرجاعها أسهل منالًا[3]، كما أن لكل نص مجموعة من العوامل التي تساعد على فهمه بحيث تمكن القارئ من معالجة النص في مواقف خاصة وبالتالي تساعده على تفسيره.

ويتبع فهم النصوص في هذه الحالة، تتابعات الجمل أي صيرورة الفهم تعود إلى تحليل المعلومات التي تنقلها البنية الفوقية للنص كما تعود إلى ترجمتها بمصطلحات المضمون أي بسلاسل من القضايا.

---

[1]- منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، المرجع السابق، ص،174.

[2]- د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، بلاغة الخطاب وعلم النص، ط: 1992 د/ت، د/ مترجم، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص،247.

[3]- د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المرجع نفسه، ص،247.

I. 10-4-ج- السياق النفسي الاجتماعي: (تأثير النصوص) أو (هيمنة لنصوص):

وهو الذي "يتـــم فيه إنتاج النص وفهمه وإعادة تكوينـــه"[1]، والمقصود به كـــذلك المفعول الذي تحدثه النصوص على مستعملي اللغة سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي, فالأمر لم يعد متعلقا بالتســاؤل عــن مــاذا يفعــل القــارئ أو المســتمع بالخطاب/النص؟ ولكن ما هي العوامل الاجتماعية التي تؤدي دوراً في الفهم النصي والعكس بالعكس أي وجوه الفهم النصي تستطيع أن تمتلك استلزامات اجتماعية؟[2]، فالتركيز إذا أصـــبح منصباً على العوامل السيكولوجية المساعدة في فهم الخطاب/النص والتي تحمل صـــبغة نفسية على مستوى علم النفس الفردي وعلم النفس الاجتماعي.

ومن الأمثلة الواقعية التي تبين أهمية السياق النفسي، حينما يقول شخص متذمر بأن رئيسه في العمل (ذبحه من الوريد إلى الوريد)، نفهم من ذلـــك أنه قد تعرضه للمضايقة ومارس عليه ضغطًا لم يحتمله، ومـــن ثمـــة نفهـــم نفســـية المتحدث الانفعالية التي تضخم الأمور، وتُبالغ في تصورها للحياة. وحينما يتحدث شخص مع صاحبه فيذكر أنه (مدمن على شرب القهوة)، فيرد عليه صاحبه قائلًا: (وأنـــا أخس منك). فليس هناك مجال للفهم بأن المتحدث كان يقصد اتهـــام صـــاحبه بالخســـة والرذيلة، ولكنه أراد القول بأنه أكثر منه إدماناً على شرب القهوة.

I. 10- 4- د- السياق الاجتماعي: (النص في التفاعل والتأسيس):

تُعد الأوضاع الاجتماعية هي نفسها، وهذا صحيح (فريدة)، ولكنها تمتلك مع ذلك عدداً كبيراً من المميزات التي لها سمة عمومية أكثر، بل حتى تواضعية. فهذه الأوضاع في المقام الأول هي أوضاع نموذجية، وإنها لتخضع إلى حد ما لمعايير تعود باستمرار.

---

[1]- د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المرجع نفسه، ص،228.

[2]- منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، وعلم النص،ج1، ط1، بلد النشر: المغرب، دار النشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004م، ص، 180.

وهكذا، فإنه توجد أوضاع ذات طبيعة عامة أو خاصة مؤسساتية أو غير مؤسساتيه، وفيها نأخذ بعض العبارات قيمة فعل اللسان، مثال هذه الأوضاع: هي العائلة والفطور وفي الشارع وفي الحافلة وفي المقهى وفي صالة المحكمة وعند الطبيب وفي السجن. ويصنف المشاركون في هذه الأوضاع عموماً في فئات، وذلك من خلال دورهم ووظيفتهم أو مكانتهم: (أب – أم – طفل – صديق – راكب – زبون – سجين – متهم – محكوم – أستاذ –... إلى أخره)[1]، وهكذا فالمقامات تختلف من نوع إلى نوع أخر وفيها تتحدد قيمة النص, إذ أن كل من الــنص والمقام الاجتماعي يحدد بعضه بعضاً, ويؤثر كل منهما في الآخر.

I. 10-4- ه- السياق الثقافي: (النص بوصفه ظاهرة ثقافية):

في النصوص التي تعمل بوصفها أفعالًا للسان في مختلف الأوضاع الاجتماعية تكون بعض الأوضاع محددة تاريخياً وثقافياً.

وهكذا ترتبط بثقافتنا الرواية، والإعلان الدعائي، والمقال العلمي، أو المعلومة في الجريدة، أو في الرائي. وإن التحليل الأنثروبولوجي والعرفي لنصوص ولأشكال التواصل يوضح على نحو أكثر هذا العامل المتعلق (بالمتغير الثقافي) بين مختلف نماذج النص، ويعلمنا مثل هذا التحليل أي نوع من النصوص يمكن أن تستعمل في سياقات اجتماعية محددة، وما هي المميزات الخاصة لهذه النصوص مثلًا بهدف مقارنتها مع تلك المستعملة في سياقات شبيهة في سياقات أخرى[2].

هذه هي أهم أنواع السياقات كما تناولها علماء النص، وهي وإن تعددت إلا أنها جميعاً تبحث عن أهمية السياق في فهم النص، وفي قيامه بالتواصلية المناطة به حتى تتحقق للنص نصيته.

---

[1]- منذر عياشي، المرجع نفسه، ص، 182.

[2]- منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، المرجع السابق، ص، 186.

ومن المتعارف عليه أن كل نص يخلق سياقه الخاص به الذي يوضح المقصود منه.

ويذهب بعض الباحثين إلى اقتراح تقسيم أخر للسياق يشمل كل ما يتصل باستعمال الكلمة من علاقات لغوية وظروف اجتماعية وخصائص وسمات ثقافية, ونفسية غيرها، وعلى هذا يمكن أن يقسم السياق إلى أربعة أقسام هي[1]:

(1) السياق اللغوي.

(2) السياق العاطفي.

(3) سياق الموقف.

(4) السياق الثقافي.

(1) السياق اللغوي: وهو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصاً محدداً, ويشار في هذا الصدد إلى أن السياق اللغوي يوضح الكثير من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياساً لبيان الترادف والاشتراك أو العموم والخصوص أو الفروق ونحو ذلك[2]، إذن فالمعنى في السياق ليس بالضرورة المعنى الذي يقدمه المعجم، إنما هو عادة متعدد ومحتمل، في حين أن المعنى الذي يقدمه السياق اللغوي هو معنى معين ودقيق له حدود واضحة وملامح محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم. ولذلك وجب العودة إلى نظام اللغة (الصوتية والمعجمية, والصرفية , والنحوية, والدلالية) للوقوف على ذات الكلمة وأهميتها.

---

[1]– د. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، د/ مترجم، د/ محقق، الطبعة الثالثة،1429ه– 2008م، الناشر: دار الفكر، ص، 354 وما بعدها.

[2]– د. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، المرجع نفسه، ص، 355.

ومن هنا فإن السياق اللغوي يشـــمل مكونـــات أساسية هي:

1- السياق الصوتي.

2- السياق الصرفي.

3- السياق النحوي.

4- السياق المعجمي.

5- السياق الأسلوبي

(2) السياق العاطفي: هو الذي يأخذ بيد المتلقي ليحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية ودلالتها الانفعالية والوجدانية, كما يحدد أيضاً الانفعـــال والمساحات التي يحتلها من النص حسب القوة والضعف مما يتطلـــب قـــرائن بيانية تؤكد عمق أو سطحية هذا اللون من الانفعال[1].

ويختلـــف هذا النوع على السياقات الأخرى في كونه يرتبط بدرجة قوة الانفعال المصاحبة لأداء الفعـــل في الكلام من تأكيد أو مبالغة أو اعتدال، **مثل:** (غضب، وسخط...)، ولا يخفـــى فـــي هـــذا المقام ما للإشارات المصاحبة للكلام من أهمية في إبراز هذه المعاني الانفعالية. فمثلًا عند التعبير عن أمر فيه غضب وشدة انفعال فإننـــا ننتقـــي الكلمـــات ذات الشـــحنة التعبيرية القوية أو المعبرة, إلى درجة أن المتكلم نفسه قد لا يقصد اســـتعمال هـــذه الكلمات، مثل: (القتل, الذبح...) أو غير ذلك[2].

(3) سياق الموقف: يمكن أن ننظر إلى سياق الموقف من زاوية كونه الإطار الخارجي الذي يحيط بالإنتاج الفعلي للكـــلام في المجتمع اللغوي أي الحيز الاجتماعي, ويدل هذا السياق على شـــبكة العلاقـــات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام [3].

---

[1]– د. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، المرجع السابق، ص، 356.

[2]– د. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، المرجع السابق، ص، 357.

[3]– د. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، المرجع السابق، ص، 357.

وقد عبر عنه البلاغيون بمصطلح (المقام) وكما غدت كلمتهم (لكل مقام مقال) مثلًا مشهوراً لا يخلو منه حقل معرفي يمت للفكر اللغوي بصلة [1]، ويرى د. تمام حسّان "أن ما صاغه مالينوفسكي تحت عنوان سياق الموقف Context of situation قد سبقه إليه العرب الذين عرفوا هذا المفهوم قبله بألف سنة أو ما فوقها إن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح (المقام) ولكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح مالينوفسكي من تلك الدعاية بسبب انتشار النفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات وبراعة الدعاية الغربية الدائبة"[2].

إن مراعاة المقام تجعل المتكلم يعدل عن استعمال الكلمات التي تنطبق على الحالة التي يصادفها خوفًا أو تأدبًا. بل قد يضطر المتكلم إلى العدول عن الاستعمال الحقيقي للكلمات فيلجأ إلى التلميح دون التصريح. وكلما كان الكلام موافقًا ظروف المقام كان مقبولًا ومستحسنًا في ظروف وحينه. وليس مهمًا أن يختار المتكلم لذلك الكلمات ذات الدلالة الموضوعية الدقيقة ربما تكون غير مقبولة، إنما المهم هو وجود المناسبة بين الكرم والموقف[3].

إذ ما يؤديه السياق للمعنى من تحديد ومناسبة ظرفية يتطلب من الباحث الإلمام بالمعطيات الاجتماعية التي يجري الكلام فيها, ولذلك يمهد عادة للآثار الأدبية بدراسة للبيئة الزمانية والمكانية, وللملابسات الشخصية لما لها من أهمية في معرفة المعنى المقصود من تلك الأثناء.

---

[1]– د. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، المرجع السابق، ص، 357.

[2]– د. تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، الطبعة: 1994، د/ت، مطبعة النجاح الجديدة: الدار البيضاء ص،372.

[3]– د. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، د/ مترجم، د/ محقق، الطبعة الثالثة،1429ه– 2008م، الناشر: دار الفكر، ص،358.

(4) السياق الثقافي: ويتعلق هذا النوع من السياق بالمحيط الثقافي بمفهومه الواسع للمجتمع اللغوي حيث يختلف المفهوم الذهني للمداخل المعجمية باختلاف السياقات الثقافية. كما يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة, وغالبًا ما يكون هذا المحيط اجتماعيًا.

ويظهر السياق الثقافي في استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدد، فالمثقف العربي المعاصر يختار كلمة (زوجة) أو (مدام) للدلالة على امرأته، على حين يستخدم الرجل العادي كلمة (مَرَه) للدلالة على زوجته.

ويحدد السياق الثقافي الدلالة المقصودة من الكلمة التي تستخدم استخداماً عاماً. فاستعمال كلمة (الصّرف) لدى دارسي العربية وطلابها يعني مباشرة أن المقصود هو علم الصرف الذي تُعرف به أحوال الكلمة العربية من اشتقاق وتغيير وزيادة ونحو ذلك. على حين نجد طلاب الهندسة

وطلابها يحددون دلالة (الصّرف) عندهم بأنها مصطلح علمي يشير إلى عمليات التخلص من المياه بأي وسيلة، لذلك تراهم يرتبط عندهم بمصطلح أخر وهو (الرَّي). وهكذا يتحدّث هؤلاء عن (الرَّي والصّرف) دون أن يشعروا بأي التباس أمام استخدام دارسي العربية الذين يتحدثون عن (النحو والصّرف). أما إذا استعملت كلمة (الصَّرف) في قطاع المال والتجارة، فإن لها دلالة أخرى تشير إلى تحويل العملية النقدية من الوجود والكمون – في الحساب المصرفي مثلًا – إلى التداول الفعلي، أو تحويل العملة من فئة إلى فئة، أو من نقد إلى أخر.

فللسياق الثقافي أهمية بارزة, إذ يقتضي من القارئ لكي يفهم نصًا من النصوص أن يلم بالسياق الثقافي لهذا النص, فالدلالة المعجمية تكون مضللة له إذا لم يتوسع بالبحث عن المعاني الأخرى والتي يستمدها من السياق الثقافي.

ومن خلال مقارنتنا لأنواع السياق المختلفة، يتضح أن المعنى هو ما يفهم من السياق سواء أكان لغويًا أو عاطفيًا أو ثقافيًا وكذلك من خلال سياق الموقف، فكل هذه الأنواع تساعد على تدارك وفهم معاني النص المختلفة.

I. 10-5- دور السياق في تحقيق التماسك النصي:

للسياق دور كبير وفعّال في التماسك النصي في نصوص المقابسات، وسوف أتعرّض هنا لبعض النماذج من المقابسات التي لعب السياق فيها دورًا بالغ الأهمية، وكان له أثر واضح فيها، ومنها ما يلي:

- مقابسة (في أن الإنسان قد يجمع أخلاقاً متباينة) [1]، كتب التوحيدي هذه المقابسة عندما جرى عند ابن سعدان يومًا كلام في الأخلاق، وحضره جماعة منهم عيسى بن ثقيف الرومي أبو السمح، وغير هؤلاء من مشايخ النصارى، وكانوا متحرمين بالفلسفة ومحبين لأهلها. ورأى أن الغرض كله من الأخلاق هو تقديرها بالقسطاس، وتطهيرها من الأدناس، التي عليها جمهور هذا الخلق. ومن ثُمّ كتب التوحيدي هذه المقابسة تعليقًا على هذا الموقف.

- مقابسة (في كتم السر وعلة ظهوره)[2]، كتب التوحيدي هذه المقابسة عندما جرى كلام في السر، فأراد أن يبين السبب في عدم كتمان الأسرار، وبيّن أن السر لابد وأن يكون فيه شيء من الكتمان والستر والخفاء.

مقابسة (في السماع والغناء وأثرهما في النفس، وحاجة الطبيعة إلى الصناعة) [3]، كتب التوحيدي هذه المقابسة في اليوم الذي خرجوا فيه يومًا ببغداد إلى الصحراء، في أيام الربيع، قصدًا للتفرج والمؤانسة.

---

[1] - المقابسات، أبي حيان التوحيدي، محقق ومشروح بقلم حسن السندوبى، د/ط، د/ت، الناشر: دار الآداب، دار سعاد الصباح، ص، 139.

[2]- المقابسات، المرجع السابق، ص، 145.

[3]- المقابسات، المرجع السابق، ص، 163.

– مقابسة (في ما بين المنطق والنحو من المناسبة) [1]، يرجع سياق هذه المقابسة عندما وجد التوحيدي مناسبة غالبة ومشابهة قريبة بين المنطق والنحو، فأراد أن يعرف من ابن سليمان الفرق بينهما، وهل يتعاونان بالمناسبة، وهل يتفاوتان بالقرب به؟ وهل يعين أحدهما صاحبه؟ ومن ثُمّ كتب هذه المقابسة.

– مقابسة (في أن العلم حياة الحي في حياته والجهل موت الحي في حياته)[2]، كتب التوحيدي هذه المقابسة عندما اجتمع مع جماعة في طاق الخواني في الوراقين، ثم قال أبو بكر الصيمري وقد ذهب به القول في كل عروض، وجذبه إلى كل باب: العلم حياة الحي في حياته، والجهل موت الحي في حياته، فإذا كان الجاهل ميتًا في حياته فماذا ترى يكون بعد مماته؟ وإذا كان العلم حياة الحي في حياته فلا شك أنه يكون حياة له بعد وفاته؟

– مقابسة (في معرفة الله تعالى أضرورية هي أم استدلالية؟) [3]، يرجع سياق هذه المقابسة عندما اختلف المتكلمون في معرفة الله تعالى أضرورية هي أم استدلالية؟ وقد اختلفوا اختلافًا شديدًا، وتنابذوا على ذلك تنابذًا بعيدًا، ثم سألوا أبو الخير حدثنا عن معرفة الله تقدس وعلا، ضرورة هي أم استدلال؟ فأرادوا أن يحصل لهم جواب يفسر على حد الاختصار مع البيان، وكان محصول

الجواب: هي ضرورة من ناحية العقل، واستدلال من ناحية الحس. ودارت المقابسة حول هذا الجواب.

---

[1]– المقابسات، المرجع السابق، ص، 169.

[2]– المقابسات، المرجع السابق ص، 201.

[3]– المقابسات، المرجع السابق، ص، 205.

– مقابسة (في هل دون فلك القمر فلكان هما سبب المد والجزر؟)[1]، كتب التوحيدي هذه المقابسة عندما سمع غلام زحل ببغداد يقول: السماء هي الجسم الذي فيما بين نهاية كرة فلك القمر التي تلينا إلى نهاية العالم، وجميع كرات السماء على ما صح عند الحكماء تسع كرات أقربها إلينا كرة القمر.

وعندما سمع ابن بكير يقول: دون فلك القمر فلكان، هما سبب المد والجزر، يقطعان الفلك في كل يوم وليلة مرتين.

– مقابسة (في علة اختلاف الأجوبة في المسائل العلمية)[2]، يرجع سياق هذه المقابسة عندما سُئِلَ أبو بكر الصيمري: لم لم يكن لكل مسألة من العلم جواب واحد؟ ودارت المقابسة كلها حول الجواب، وهو: لأن من المسائل ما هو كذب، ومن المسائل مسائل لها توجهات وحواش، فيختلف الجواب من المجيبين بحسب نظرهم من تلك الجهات والحواشي، أو بحسب العبارات التي تجزل مرة وتضعف أخرى

– مقابسة (في مراتب الإضافة)[3]، كتب التوحيدي هذه المقابسة عندما أحب أن يسمع كلاماً في مراتب الإضافة التي هي مستولية في جمل حالاتها مثل قولي: هذا، وهذا لي، وهذا مني، وفي، وعلي، وإلي، ولدي، وعندي، وما ضارع ذلك.

– مقابسة (في أن النفس قابلة للفضائل والرذائل والخيرات والشرور) [4]، كتب التوحيدي هذه المقابسة عندما كان يقرأ على أبو سليمان كتاب النفس للفيلسوف سنة (371هـ) بمدينة السلام.

---

[1] – المقابسات، ص. أبي حيان التوحيدي، محقق ومشروح بقلم حسن السندوبى، د/ط، د/ت، الناشر: دار الآداب، دار سعاد الصباح، 232.

[2]– المقابسات، المرجع نفسه، ص، 233.

[3]– المقابسات، المرجع نفسه، ص، 240.

[4]– المقابسات، المرجع نفسه، ص، 246.

– مقابسة (في نوادر مفيدة في الفلسفة العالية) [1]، يعين التوحيدي قارئه في تحديد سياق هذه المقابسة، فيقول في مطلعها: (هذه مقابسة نذكر فيها نوادر سمعناها في الفلسفة العالية من أبي سليمان مفيدة، وإذا وهب الله نشاطًا وتمكينًا عدنا إلى نظائرهن فروياهن فإنها كثيرة نافعة غريبة).

– مقابسة (في حكم بعض الحكماء وفي بيان حال العالم غير العامل)[2]، يعين فيها التوحيدي أيضًا سياقها بقوله: (نعود في مقابسة أخرى إلى أشياء لأبي سليمان فنأتي بها على

وجهها ونذكر في هذه حكما سمعناها من الحراني أبي الحسن وغيره، فقد كانت المجالس لا تتصرم إلا عن فوائد كثيرة فلسفية وغير فلسفية).

فالتوحيدي في معظم المقابسات كان يعين قارئه في تحديد السياق الذي يكتب فيه بعض مقابساته، فقدم بعض الإشارات داخل المقابسة توحي بسياق كتابته، ومن ثُمّ فالسياق واضح في أغلب مقابساته.

وهكذا فالسياق مسألة ضرورية وحاسمة في مجال اللغة، حيث يسمح لنا بالحديث عن الأشياء بدقة ووضوح، وأي استغناء عن السياق سيجعل قناة التواصل متوترة، لهذا فهو يقوم بدور فعّال في تواصلية النص وانسجامه.

I. 10-6- الضمائر وخصائصها التركيبية:

I. 10-6-1-أنواع الدلالة:

I. 10-6-1-أ- الدلالة السياقية (الاجتماعية):

والدلالة السياقية هي تلك الدلالة التي يقصدها المتحدث ويفقهه المتلقي من خلال الحدث الكلامي، مع ضرورة مراعاة الظروف المحيطة به، لأن الإنسان يحدد دلالات ألفاظه أثناء استعمالها، مع مراعاة المقام الذي يتواجد به. وقد تنبه البلاغيون العرب قديما إلى

---

[1]– المقابسات، المرجع نفسه، ص، 260.

[2]– المقابسات، المرجع السابق، ص، 262.

الدور الذي يلعبه السياق في تحديد المعنى حين قالوا: << لكل مقام مقال>> << لكل كلمة مع صاحبتها مقام>> فوقعوا بقولهم هذا على عبارتين تصدقان على دراسة المعنى في كـــل اللغات لا في العربية الفصحى فقط، بل في سائر اللغات البشرية على حد سواء، ولم يعلم الغربيون أنهم مسبوقون إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة فما فوقه"[1].

ا. 10-6-1- ب- الدلالة التركيبية (النحوية):

وهي الدلالة المستمدة من إرتباط الكلام بعضه ببعض بواسطة التركيب الذي تخضع له أي لغة – كالنحو الذي يعد قانون التركيب العربي، فبدونه لا يمكن للكلام أن ينجح في توصيل آية رسالة من المتكلم إلى المتلقي، وقد نبه على ذلك (سيبويه) [2].

ومن أمثلة الدلالات التركيبية:

- دلالة الفاعلية بين الفعل وفاعله.
- والمفعولية بين الفاعل والمفعول.
- والتوكيدية المستمدة من حرف التوكيد (إنّ).

والحالية أو الكيفية المستمدة من العلاقة بين الفعل والحال, وارتباط حرف الجر بمجروره ودلالته في الجملة.

ا. 10-6-2- أنواع الدلالة التركيبية لدى الأصوليين:

توجه اهتمام الأصوليين كما أشرت سابقا إلى الدلالات التي تفيدها التراكيب المتعددة، وهذا ما يصرح به الشاطبي إذ يقول: "أن يكون الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم"[3].

---

[1]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط1، الدار البيضاء، 1994، مطبعة النجاح الجديدة، ص، 372.

[2]- كتاب سيبويه، تأليف: أبي بشر عمر بن قنبر سيبويه (ت 180ه)، تحقيق:عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د، ت)، ص، 26.

[3]- الشاطبي، أبو اسحق إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة،4 م ،(شرح وضبط محمد عبد الله دراز)، المكتبة التجارية الكبرى، شارع محمد علي، مصر، ص، 2،87.

I. 10-6-2- أ- الدلالة التركيبية باعتبار اللفظ المركب:

ويقصد بذلك أن يكون اللفظ هو الوسيلة الوحيدة لإدراك المعنى ذهنيا. ولا يبتعد الأصوليون في منحاهم هذا عن البلاغيين، فعبد القاهر الجرجاني حين يقسم الكلام إلى ضربين، يحدد القسم الأول بقوله: " ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن (زيد) مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد"[1].

I. 10-6-2-ب- الدلالة التركيبية باعتبار المتكلم والسامع:

بخلاف جمهور الأصوليين فقد انفرد ابن قيم الجوزية بهذا التقسيم حين نظر إلى الدلالة التركيبية من زاوية المتكلم والسامع بما يترتب على ذلك من قصد الأول وفهم الثاني، فجاءت الدلالة التركيبية عنده باعتبار هذا المنظور قسمين: دلالة حقيقية، ودلالة إضافية، وفيما يلي بيان ذلك:

1- الدلالة الحقيقية:

هي " دلالة تابعة لقصد المتكلم وإرادته[2]"، فقصد المتكلم من اعتقاد ورغبة وحب وكره هو المحدد لهذا النوع من الدلالة، وكل تركيب لغوي لا يخلو من قصد المتكلم، ويرى ابن قيم الجوزية أن التركيب اللغوي وسيلة يستدل به على قصد المتكلم، وفي ذلك يقول: " والألفاظ لم تقصد لذواتها وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم"[3].

ثم يذكر لنا وسائل أخرى يستخدمها المتلقي لاستكشاف قصد المتكلم، ومن هذه الوسائل:

---

[1]- الجرجاني، عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، ط2، (تعليق محمد رشيد رضا)، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1998، ص، 177.

[2]- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط1، 2م، (حققه محمد محي الدين عبد الحميد)، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة، مصر،1955، ص، 1،218 .

[3]- ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، المرجع نفسه، ص، 1، 218.

الإشارة أو الكتابة أو الإيماءة، أو قرينة حالية أو عادة له مطردة لا يخل بها...[1].

وقد نبه ابن قيم الجوزية إلى أن هذه الدلالة لا تختلف بالنسبة للمتكلم، بل تمتاز بالثبات وعدم التعدد، وقد تتعدد وتختلف بالنسبة للمتلقي تبعا لتكوينه الفكري والثقافي والاجتماعي[2].

2- الدلالة الإضافية:

وهي دلالة: " تابعة لفهم السامع وإدراكه، وجودة فكره وقريحته، وصفاء ذهنه، ومعرفته بالألفاظ ومراتبها ".

وإذا كانت الدلالة الحقيقية تمتاز بالثبات بالنسبة للمتكلم، فالدلالة الإضافية، كما نص عليها ابن قيم الجوزية تختلف باختلاف المتلقي، وقد سبقت الإشارة لذلك، وما جاء به ابن قيم الجوزية من تفريق بين الدلالة الحقيقية والإضافية يعد من القضايا التي يتناولها علماء النقد اللغوي الحديث ويطلقون عليها مصطلح المقصدية. وتعد المقصدية عندهم المحرك الفعال الذي يكون وراءه المنتج والمتلقي. ومعناها: "أن كل جملة لغوية وراءها مقصدية أولى تتجلى في بعض الحالات مثل: الاعتقاد والخوف والتمني والرغبة والحب والكراهة، وثانوية هي ما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم والحالات التي وراءها"[3].

I. 10-6-3- طرق الدلالة التركيبية:

الكلام وسيلة للاتصال بين طرفين، طرفه الأول المرسل والآخر المستقبل ووسيلة الإتصال هي الإشارات الصوتية بين المتكلم والسامع أو المادة الكتابية بين الكاتب والقارئ. والقصد لدى المتكلم أو الكاتب هو المحرك والدافع الرئيس لإنشاء مادة

---

[1]- المرجع نفسه، ص، 1، 350، 351.

[2]- المرجع نفسه، ص، 350، 351.

[3]- محمد، مفتاح، دينامية النص تنظير وإنجاز، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، المغرب، الدار البيضاء،1987، ص، 50.

الخطاب، وقد يتوصل الطرف الآخر (المتلقي) إلى ذلك القصد أو ربما يتوصل إلى مقاصد أخرى من الخطاب يحتملها النص بشكل من الأشكال.

ويتوصل المتلقي إلى مقاصد الخطاب من خلال ظاهر النص أو من خلال ما يحتمله من تأويل، ولذلك جاء تقسيم تلك الطرق إلى قسمين سيتم بحثهما وهما:

أ- دلالة المنطوق

ب- دلالة المفهوم

I. 10-6-3-أ- دلالة المنطوق:

يتحدد نوع الكلام لدى الأصوليين من أمر ونهي وإخبار وغيرها بحسب قصد المتكلم، وعلى المتلقي أن ذلك القصد بالنظر إلى الوحدة الكلامية الصادرة عن المتكلم، أو المادة.[1] الكتابية في نظمها

وإذا دلت الوحدة الكلامية بحرفيتها على المعنى المقصود فـإن الأصوليين يطلقون عليها مصطلح المنطوق الصريح، أما إذا كان التوصل إلى المعاني المقصودة يتم من خلال ما تتضمنه الألفاظ المباشرة من معان أخرى فذلك المنطوق غير الصريح غير لديهم[2]، وفيما يلي تفصيل ذلك.

أولا: دلالة المنطوق الصريح:

حدد المتكلمون من الأصوليين دلالة المنطوق الصريح بأنه: "ما وضع اللفظ له، فيدل عليه بالمطابقة والتضمن"[3]، ودلالة المنطوق الصريح تشمل لديهم الطلب من أمر ونهي واستفهام والخبر مثبتا كان أو منفيا، والإنشاء من نداء وتمن وقسم ومدح وذم.

---

[1]- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط1، 2م، (حققه محمد محي الدين عبد الحميد)، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة، مصر،1955، ص، 75.

[2]-عضد الملة الإيجي، شرح القاضي عضد الملة والدين لمختصر المنتهى الأصولي، ط1، (ضبطه ووضع حواشيه فادي نصيف وطارق يحي)، منشورات محمد علي بيضون، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، 2000، ص، 2،171.

[3]- المرجع نفسه، ص، 1،417.

وبذلك فـإن المنطوق الصريح يقصد به دلالة الوحدة الكلامية على ما يقال فعلا، والاستدلال على المعنى المقصود لا يختلف به اثنان عند السماع، فالحقيقة لا تختلف باختلاف الأشخاص، وفي ذلك يقول الشاطبي: "هي التي تشترك فيها جميع الألسنة وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين ولا تختص بأمة دون أخرى"[1].

ثانيا: دلالة المنطوق غير الصريح:

عرف الأصوليون المنطوق غير الصريح بأنه: " مالم يوضع اللفظ له بل يلزم مع وضع له فيدل عليه بالإلتزام"[2]، وبذلك فهو ما يقصد ضمنا من الوحدة الكلامية، وفي قولهم (يدل عليه بالالتزام) إشارة إلى أن المنطوق غير الصريح يقصد به الدلالة التابعة،

وهي المعنى الذي يقود إليه المعنى الحرفي للوحدة الكلامية.

وجاء تقسيم الأصوليين لدلالة المنطوق غير الصريح إلى ثلاثة أقسام هي: دلالة الاقتضاء، ودلالة الإيماء، ودلالة الإشارة.

دلالة الاقتضاء:

يقصد بدلالة الاقتضاء ذلك المعنى المقدر الذي يتطلبه الكلام ليستقيم، وقد عرفها الآمدي بقوله: " هي ماكان المدلول فيه مضمرا إما لضرورة صدق المتكلم، وإما لصحة الملفوظ به"[3].

2- دلالة الإيماء:

---

[1]- الشاطبي، أبو اسحق إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة،4 م ،(شرح وضبط محمد عبد الله دراز)، المكتبة التجارية الكبرى، شارع محمد علي، مصر، ص، 2،66.

[2]- عضد الملة الإيجي، شرح القاضي عضد الملة والدين لمختصر المنتهى الأصولي، المرجع سابق، ص، 2، 172.

[3]- الآمدي، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، ط2،1م، (علق عليه العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي)، دار الصميعي للنشر والتوزيع، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، 2003، ص، 2،81.

في هذا النوع من الدلالة تكون الوحدة الكلامية دالة على المقصود بمضمونها لا بصفتها ومنطوقها، وقد عرف الغزالي دلالة الإيماء بقوله: "فهم التعليل من إضافة الحكم إلى الوصف المناسب"[1]، وأمثلة ذلك لدى الأصوليين كثيرة، **ومنها قوله تعالى: [الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة]** [2]، وهنا يفهم من مضمون لفظ الوحدة الكلامية أن الزنا هو علة بالجلد لكل منهما. وهي علة غير مصرح بها ولكنها لازمة لمعنى الفاء.

3- دلالة الإشارة:

في هذا النوع من الدلالة لا يكون المعنى المأخوذ من إشارة الوحدة الكلامية مقصودا للمتكلم، إذ لا يتبادر فهمه من صيغتها، ومع ذلك فالمعنى هنا لازم للمعنى المتبادر من الصيغة التركيبية للوحدة الكلامية، ويدرك هذا المعنى بالتأمل وإطالة الفكر، ولذلك يتفاوت المتلقون في إدراكه بحسب ظهور وجه التلازم أو خفائه بين المعنيين: الأول والثاني.

وقد عرف الغزالي دلالة الإشارة **بقوله:** " ما يتبع اللفظ من غير تجريد قصد إليه"[3].

ومن الأمثلة التي تساق على وجود تلازم بين المعنيين **قوله تعالى: [والوالدات يرضعن أولادهــنّ حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهنّ وكسوتهــنّ بالمعروف]**[4].

I. 10-6-3- ب - دلالة المفهوم:

---

[1]- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى في علم الأصول، (تحقيق محمد مصطفى أبو العلا)، شركة الطباعة الفنية المتحدة،1971، ص، 111،1.

[2]- سورة النور، الآية:2.

[3]- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى في علم الأصول، مرجع سابق، ص، 372.

[4]- سورة البقرة، الآية:233.

عرف الشيرازي دلالة المفهوم بقوله: " مفهوم الخطاب: كل ما فهم من الخطاب مما لم يتناوله النطق وفهم معناه " [1]، وهي عند إمام الحرمين: "ما ليس منطوقا به، ولكن المنطوق به مشهر به"[2]، ويرى الآمدي دلالة المفهوم بأنها: " ما فهم من اللفظ في غير محمل النطق"[3].

وقد ذهب الأصوليين إلى تقسيم دلالة المفهوم إلى قسمين هما:

1. مفهوم الموافقة.

2. **مفهوم المخالفة.**

أولا: مفهوم الموافقة:

ويطلق عليه دلالة النص عند الأحناف، وهو عند الشافعية فحوى الخطاب [4]، ولحن الخطاب- أي معنى الخطاب – ومهما يكن من أمر هذا اختلاف فان الأصوليين قد انطلقوا في تعريفهم لمفهوم الموافقة من أمرين:

الأول: أن مفهوم الموافقة جميع بين المعنى المباشر والمعنى الإيحائي وأن هذا الجمع مراد بحد ذاته للمتكلم المثالي.

الثاني: أن العلة التي تجمع بين المعنيين علة لغوية تدرك بمجرد الفهم اللغوي للوحدات الكلامية[5].

ثانيا: مفهوم المخالفة:

---

[1]– الشيرازي، أبو اسحق إبراهيم بن علي بن يوسف، شرح اللمع، ط1، 2م، (حققه وقدم له ووضع فهارسه عبد المجيد تركي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1988، ص،1، 424.

[2]– إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، البرهان في أصول الفقه، ط1، 2م، (حققه عبد العظيم الذيب)، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر،1979، ص، 1، 448 .

[3]– الآمدي، علي بن محمد، الإحكام في اصول الأحكام، ط2،1م، (عـلّـق عليه العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي)، دار الصميعي للنشر والتوزيع، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، 2003، ص،2، 84 .

[4]– الشيرازي، أبو اسحق إبراهيم بن علي بن يوسف، شرح اللمع، مرجع سابق، ص،1، 424.

[5]– العبيدان، موسى بن مصطفى، دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين، (ط1)، سورية- دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع، ص،300.

يبني الأصوليون تعريفهم لمفهوم المخالفة على أساس علاقة التناقض بين طرفي الجملة الظاهر وهو المنطوق المثبت، والباطن وهو المسكوت عنه المنفي، فقد عرفها الشيرازي **بقوله:** "هو أن يعلق الحكم على أحد وضعي الشيء فيدل على أن ماعدا ذلك بخلافه" [1].

I. 10-6-4- أسباب غموض الدلالة التركيبية:

ناقش علماء أصول الفقه غموض الدلالة التركيبية إلى جانب مناقشتهم لوضوح الدلالة التركيبية، وقد ذهب منهم إلى رد الغامض إلى قسمين:

1. **المجمل:** وهو "مالا يعقل معناه من لفظه ويفتقر في معرفة المراد إلى غيره"[2].

2. **المتشابه:** وقد اختلفوا في تعريفه، وأورد الشيرازي هذه الاختلافات بقوله: " وأما المتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه وما لم يطلع عليه أحد من خلقه، ومن الناس من قال: المتشابه هو القصص والأمثال والحكم والحلال والحرام، ومنهم

من قال: المتشابه الحروف المجموعة في أوائل السور كـــــ (المص) و(المر) وغير ذلك. والصحيح هو الأول لأن حقيقة المتشابه ما اشتبه معناه، وأما ما ذكروه فلا يوصف بذلك"[3].

ومع ذلك فقد ذهب الأصوليون إلى أن أكثر حالات الغموض سببها لغوي محض، وحالات الغموض عندهم تنشأ عادة عن أحد الأسباب التالية:

1. الاشتراك في الصيغة الصرفية.
2. الاشتراك في العلاقات النحوية.
3. الاشتراك في المفردة المعجمية.

---

[1]- الشيرازي، أبو اسحق إبراهيم بن علي بن يوسف، شرح اللمع، ط1، 2م، (حققه وقدم له ووضع فهارسه عبد المجيد تركي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1960، ص، 1، 428.

[2]- الشيرازي، أبو اسحق إبراهيم بن علي بن يوسف، اللمع في أصول الفقه، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1985، ص،49.

[3]- المرجع نفسه، ص، 52.

4. غرابة الصورة الخيالية.

أولا: الاشتراك في الصيغة الصرفية:

يتم التصريف في اللغة العربية عن طريق وحدات صوتية ذات معنى، وقد تكون هذه الوحدة حركة أو حرفا أو أكثر تزاد على الجذر فتؤدي إلى تغيير المعنى، فالفعل علم قد اكتسب دلالته من خلال الحركات التي أضيفت على الجذر ليدل على وقوع الحدث من مذكر في الزمن الماضي، وإذا ما أردنا الحصول على وقوع الحدث في الزمن الحاضر أضفنا إلى أوله وحدة صوتية دالة على المضارعة كالياء، وإذا ما أضفنا في أوله الألف والسين والتاء حصلنا على معنى الطلب في الحدث وهكذا.

ومثال الاشتراك في الصيغة الصرفية من القرآن الكريم قوله تعالى: وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ولا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۚ عَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾سورة البقرة 1، الفعل تضار يحتمل البناء للمعلوم (تُضَارَّ) ويكون المعنى عندها أن ترهق الزوجة زوجها بكثرة مطالبها للولد.

ويحتمل البناء للمجهول (**تُضَارَّ**) ويكون المعنى عندها أن لا يقع اللوم عليها من الزوج بسبب الإتفاق على ولدها وهذا يتطلب أن لا يقصر الزوج تجاه زوجته وولدها.

ثانيا: الاشتراك في العلاقة النحوية:

[1]– سورة البقرة، الآية: 233.

الكلام لا يكون مفيدا بمجرد كونه مؤلفا بعضه إلى بعض إلا كانت الوحدة الكلامية فيه محكمة الترابط، ووسائل ترابط أجزاء الوحدة الكلامية كثيرة يؤدي جميعها إلى وضوح العلاقة وعدم اللبس في أداء المعنى المقصود، ويتم الترابط بين أجزاء الوحدة الكلامية عن طريقين:

الأول: الإعراب، ويضم ثلاثة جوانب هي: الموقع الإعرابي، والحالة الإعرابية، والعلامة.

الثاني: الرتبة، ويقصد بها الموضع الأصلي للكلمة في السياق اللغوي، وهي رتبتان: رتبة محفوظ، ورتبة حرة متغيرة.

وقد أرجع الأصوليون هذا النوع من الغموض الدلالي إلى الاشتراك في العلاقة النحوية بين أجزاء التركيب [1]، وسبب الاشتراك في العلاقة النحوية عندهم يعود إلى عدة أمور، منها:

أ.الاضطراب في مرجع الضمير:

يقتضي النظام في اللغة العربية إلى وجود مرجع للضمير يتمكن من الإحالة إليه، ويقوم المرجع بدور المفسر الذي يحدد متعلق الضمير، وقد ذهب الأصوليون إلى أن مرجع الضمير قد يكون سببا في الغموض الدلالي، وذلك إذا تردد الضمير بين مرجعين كلاهما صالح له فينشأ عن ذلك معنيان مختلفان للوحدة الكلامية.

ب. التردد في مرجع الصفة:

ويذهب الأصوليون إلى أن الغموض الدلالي الذي تسببه الدلالة النحوية يمكن أن يكون ناجما عن جمع الصفات وإردافها بما يصلح أن يرجع إلى كلها أو إلى بعضها[2].

---

[1]– السبكي، علي بن عبد الكافي، الإبهاج في شرح المنهاج، ط1، 3م، (كتب هوامشه وصححه جماعة من العلماء)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1984، ص، 2، 208،210.

[2] – السبكي، علي بن عبد الكافي، الإبهاج في شرح المنهاج، ط1، 3م، (كتب هوامشه وصححه جماعة من العلماء)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1984، ص. 2،209، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، إرشاد

ومن الأمثلة على ذلك قولهم: (زيد طبيب أديب ماهر)، فالوصف (ماهر) يصلح أن يكون راجعا إلى الكل "فتكون المهارة في الطب كما في الأدب" أو إلى البعض فقط، وذلك البعض يصلح أن يكون الأخير أو غيره [1]، فقد تكون المهارة في الأدب وحسب ولا يمتنع أن تكون في الطب وحده.

ج. اضطراب مخصصات الإسناد بين المعطوف والمعطوف عليه:

وقد سبق الحديث عن ذلك أثناء عرض مخصصات الدلالة التركيبية العامة، والغموض هنا ينشأ من احتمال عودة المخصص على المعطوف، أو شمولها للمعطوف عليه معا **كقولنا:** حضر المعلمون والطلاب فرحين.

ثالثا: الاشتراك في المفردة المعجمية:

قسم سيبويه اللفظ المفرد إلى أقسام ثلاثة هي: المتباين والمترادف والمشترك، فقال: " اعلم من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو ملبس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق.

واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة ووجدت إذا أردت وجدان الضالة"[2].

رابعا: غرابة الصورة الخيالية:

يخرج الكلام من حالة الوضوح إلى حالة الغموض بسبب الصورة الخيالية أحيانا، وذلك إذا لم تبن الصورة على المشابهة والمقارنة وإذا لم ينتقل فيها الذهن انتقالا سهلا من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به. وقد نبه الأصوليون

الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ط2، 2م، (تحقيق أحمد عز وعناية)، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ص، 169.

[1]– المرجع نفسه، ص، 241، 242.

[2]– سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، 5م، (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، عالم الكتب، بيروت، ص، 1، 24.

لذلك حيث يقول السمرقندي: " وكذلك إذا كانت استعارة بديعية ومجازا دقيقا **كقوله تعالى:** قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ سورة مريم[1]، فـــان طرق الاستعارة والمجاز كثيرة عند العرب بعضها فيه خفاء ودقة"[2].

[1]– سورة مريم، الآية:4.

[2]– السمرقندي، علاء الدين أبو بكر محمد بن أحمد، ميزان الأصول في نتائج العقول، ط2، (حققه وعلق عليه محمد بن زكي عبد البر)، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر،1997، ص، 353.

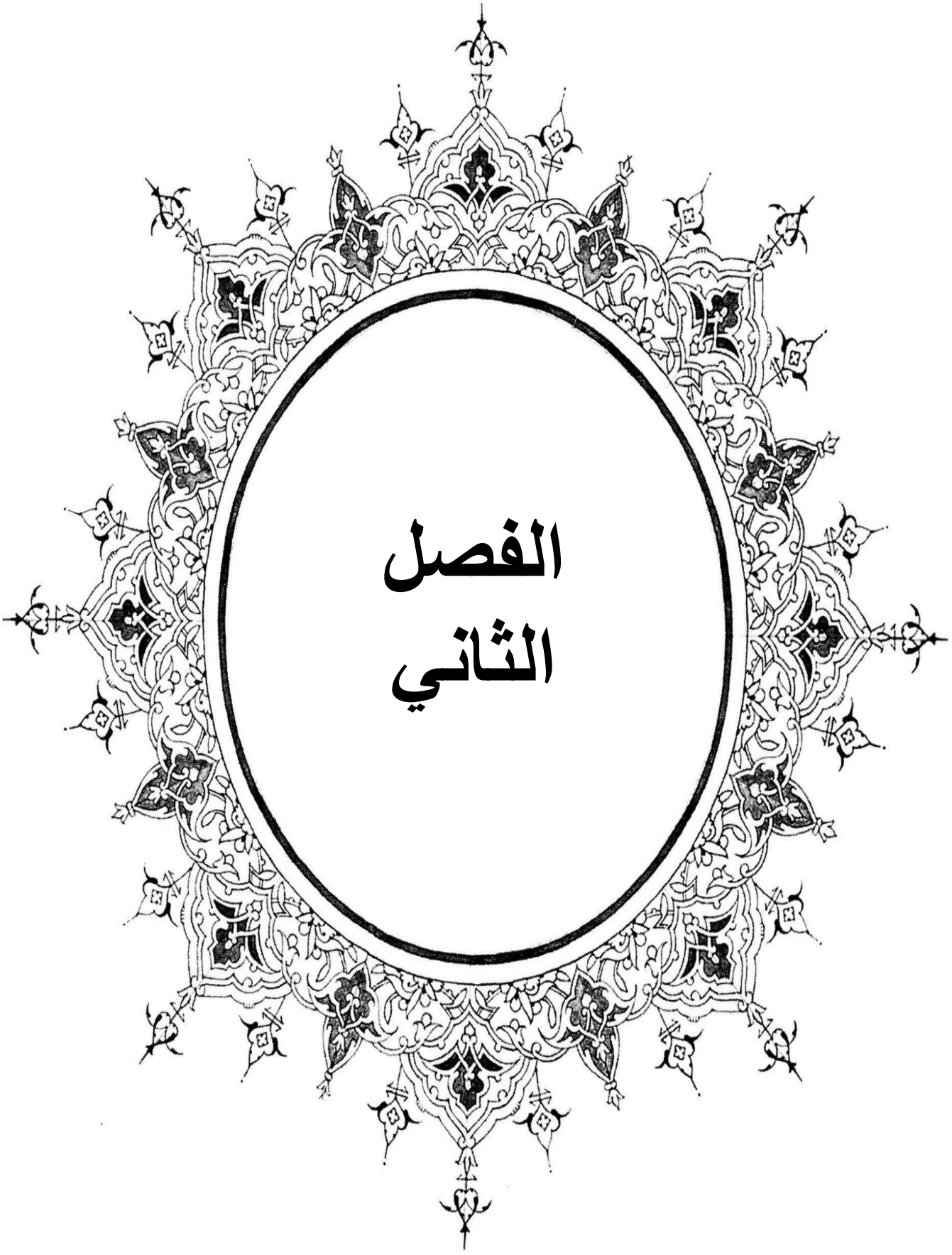

الفصل الثاني

الفصل الثاني: دراسة نحوية دلالية للضمير" نحن "في القرآن الكريم:

صيغة المفرد والجمع في الخطاب القرآني:

يأتي الخطاب الرباني في كتابه الكريم عن نفسه مرة بصيغة المفرد "أنا" ومشتقاتها، ومرة أخرى بصيغة الجمع "نحن" ومشتقاتها، وسؤالنا الذي نطرحه هنا هو: لماذا؟ أي لماذا يتحدث الله سبحانه جل وعلا عن نفسه بصيغة المفرد تارة وبصيغة الجمع تارة أخرى؟

لقد حمل جل الفكر الإسلامي السائد الخطاب باستخدام صيغة الجمع عند الحديث عن المفرد أنه من باب التعظيم والتقدير، وكأنهم بهذا الفهم يقولون أنه عندما يقول الله عن نفسه "نحن" فيكون ذلك تعظيماً لشأنه، وليس معنى ذلك أن تنتفي عظمة الله عندما يتحدث عن نفسه بصيغة المفرد.

والحقيقة البينة الجلية في القرآن الكريم هي أنه عندما يتحدث الإله عن نفسه فإنه يستخدم صيغتي المفرد والجمع كما في المثالين التاليين:

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ سورة طه.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ سورة الحجر.

في حين أنه جل في علاه عندما يخاطب الإنسان ربه فلا ترد في كتاب الله إلاّ بصيغة المفرد: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ سورة الأنبياء.

فلو استعرضنا جميع الآيات القرآنية لوجدنا أن الناس جميعاً يخاطبون الإله بصيغة المفرد، لا بل إنه من باب الشرك بالله أن ترجع الكلام عن الله بصيغة الجمع لأن ذلك يحمل في ثناياه معنى الإشراك، فمن باب أولى مخاطبة الإله بصيغة المفرد، فالإله ليس ملكاً أرضياً ليعظم بصيغة المخاطب الجمع

ولكن السؤال المشروع الذي نطرحه هنا هو :لماذا يتحدث هو عن نفسه بصيغة المفرد تارة وبصيغة الجمع تارة أخرى كما في الآيات التالية والتي ذكرناها سابقاً ونعيدها مرة أخرى لتبين الفكرة؟

﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾سورة طه.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾سورة الحجر.

لعل الجواب الذي تحاول الدراسة تقصيه يبدأ من استقراء جملة من الآيات التي تضمنت ضمير الجمع المتكلمين "نحن" ومحاولة معرفة الدلالات والمقاصد التي يعنيها في استخدامه صيغة الجمع، بالاعتماد على ما نجده من قرائن في التراكيب إن دلالية أو نحوية أو سياقية

لو أمعنا التفكير في الآيات التي يتحدث الله عن نفسه بصيغة الجمع لوجدناها تختلف اختلافاً جذرياً عن الآيات التي يتحدث الله عن نفسه بصيغة المفرد وسنقدم المثال التالي لتوضيح الفكرة:

فعندما خاطب الله نبيه موسى، جاء الخطاب في كل السياقات القرآنية التي تتحدث عن تلك الواقعة بصيغة المفرد،كما تبينه هذه الآيات الكريمة من مختلف سور القرآن الكريم نذكرها متتابعة على النحو الآتي حيث قال تعالى:

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾سورة طه.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾سورة القصص.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا

مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ سورة الأعراف.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ سورة النمل.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾سورة النازعات.

فلماذا جاء الخطاب من الله عن نفسه بصيغة المفرد؟ إننا إذا حملنا الكلام على معناه الحقيقي دون زيادة ولا نقصان يتبين لنا أن الجواب يتمثل بأن الله نفسه هو من خاطب موسى دونما واسطة، فلم يشترك مع الإله في ذلك الحدث أحد آخر.

ولكن – في المقابل– لندقق النظر بتلك الحادثة التي حصلت مع نبي الله إبراهيم عليه السلام:

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ سورة الصافات.

فإذا تأملنا ضمائر الخطاب التي يستخدمها الله في هذه الحادثة للحديث عن نفسه وجدناها ضمائر الجمع (وَنَادَيْنَاهُ، نَجْزِي، وَفَدَيْنَاهُ) ونقصد ضمير المتكلمين "نا" المتصل بهذه الأفعال. وهو ما يسوغ التساؤل بالمقارنة إلى الآيات السبقة المتضمنة ضمير المتكلم المفرد "أنا" أو الغائب المفرد كما في "ناداه ربه" .

ونحسب أن النظر في السياق يسعفنا في مقاربة الجواب ومعرفة القصد والغرض والمبرر في آن بمعنى أن النداء في الحالين مختلف وبيان ذلك أننا لو تساءلنا فقلنا : هل الله نفسه هو من نادى إبراهيم كما نادى موسى؟ هل الله نفسه من جازى إبراهيم لصنيعه ذلك؟ هل الله نفسه من قدم الفداء لإبراهيم؟ الجواب لاشك أنه بالنفي، إذ أرسل الله لإبراهيم من يناديه، وأرسله بذلك الجزاء ومعه ذلك الفداء.

ومؤدى ما نرمي إليه أن الله إذا تحدث عن فعل فعله بنفسه دونما تدخل أو وساطة من ملائكته فلا يأتي الخطاب إلا بصيغة المفرد، أما إذا كان الفعل قد نفذه الله بأمر منه ولكن بواسطة ملائكته فيأتي الخطاب بصيغة الجمع، وذلك لأن الله صادق فيما يقول ويفعل، فلا يمكن أن يفعل الله شيئا بواسطة خلقه ثم ينسبه لنفسه بالكلية، ولا يمكن أن يعمل شيئا بمفرده ثم يشرك به الآخرين.

وبهذا الفهم سنتحرى النظر في بعض الآيات القرآنية التي تضمنت الضمير "نحن" العائد على الذات الإلهية وما نستشفه فيها من دلالات ملتمسين من سياقات التراكيب وقرائنه ما يعين على تسويغ الفهم والتحليل والله المستعان.

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ سورة يوسف1.

حدد – سبحانه – أنه هو الذي يقص، وإذا وجد فعل لله، فنحن نأخذ الفعل بذاته وخصوصه، ولا نحاول أن نشتق منه اسما نطلقه على الله، إلا إذا كان الفعل له صفة من صفاته التي علمناها في أسمائه الحسنى، لأنه الذات الأقدس، والواجب أن ما أطلقه – سبحانه – اسما نأخذه اسما، وما أطلقه فعلا نأخذه فعلا، وأحسن ما يقص من الأحاديث، على أبدع طريقة وأعجب أسلوب، ولما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب والسعادة التي ليس في غيرها.

ولعل كلمة **{هذا}** للإيماء إلى تعظيم المشار إليه. وساق هذه القصة مساقا...[2]

التعليق:

– أي أنه قص لنا أحسن القصص على أبدع الأساليب يخبرنا عن الأخبار الماضية وأنباء الأمم السالفة، وذلك لصدقها وسلاسة عبارتها ورونق معانيها.

---

[1] – سورة يوسف، الآية 3، برواية ورش.

[2] – الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، شهاب الدين، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 14، ص، 108.

*حيث جاء الضمير الإحالي (**نحن**) تأكيدا لإحالة سابقة هي ضمير التعظيم (إنـــاَّ) في الآية التي سبقتها.

وهذا ما يبين جلالة القرآن، لأن فيه دلالة على أن علمه صلى الله عليه وسلم من القرآن، وفيه دلالة على جلالة الله وقدرته، ودلالة على عظيم نعمته على نبيه صلى الله عليه وسلم. ولو تساءلنا عمن يقص فعلا لتبين بداهة أن فعل القص تم بأمر الله إلى ملك الوحي ليبلغه الرسول الكريم ولا يمتنع أن في الجمع دلالة على أن ما يُلقى إلى الرسول بواسطة جبريل عليه السلام يقين لا ريب فيه كما لا يخفى ما في صيغة الجمع من تعظيم يمس الجميع ممن هو معني بالقصص سواء ملك الوحي أو الرسول الكريم أو بديع القصص وآياته ومعانيه وغاياته ومقاصده فضلا عن احتمال تضمن معنى المشاركة في فعل القص نفسه فهو بأمر الله وتنفيذ ملك الوحي.

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾سورة الواقعة [1].

يقول تعالى مقررا للمعاد، وردا على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد، من الذين قالوا: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ سورة الصافات.، وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد، فقال: (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ) أي : نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا، أفليس الذي قدر على البداءة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى ; فلهذا قال : (فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ) أي : فهلا تصدقون بالبعث ! ثم قال مستدلا عليهم بقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) أي : أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها، أم الله الخالق لذلك ؟

[1]– سورة الواقعة، الآية من57 إلى 60، برواية حفص عن عاصم.

ثم قال : (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ) أي : صرفناه بينكم .وقال الضحاك : ساوى فيه بين أهل السماء والأرض[1].

(وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) أي : وما نحن بعاجزين .

جاء في كتب التفسير: (**فَلَوْلاَ تُصَدِّقُونَ**) تحضيض على التصديق بالخلق، وعلى خلق ما يماثلهم، وما لا يماثلهم، فكيف نعجز عن اعادتكم، **(تَخْلُقُونَه):** تقدرونه وتصورونه [2].

لقد خلق الله النطفة وصورها وأحياها فلم لا تصدقون أنه واحد أحد صمد قادر على الأشياء، فـــإنه يعيدكم كما أنشأكم في الابتداء، والاستفهام يفيد زيادة تقرير[3].

ويجوز في **{أأنتم}** أن يكون مبتدأ، وخبره **{تَخْلُقُونَه}**، والأولى أن يكون فاعلا بفعل محذوف، كأنه قال: **أأنتم تخلقونه؟** فلم حذف الفعل، انفصل الضمير وجاء **{أَفَرَأَيْتُمْ}** هنا مصرحا بمفعولها الأول.

ومجيء جملة الاستفهام في موضع المفعول الثاني على ما هو المقرر فيها، اذا كانت بمعنى أخبرني.

وجاء بعد أم جملة فقيل: أم منقطعة، وليست المعادلة للهمزة، وذلك في أربعة مواضع هنا، **بل نحن الخالقون**، فجوابه نعم.

ويقال: سبقته على الشيء: أعجزته عنه، وغلبته عليه، ولم تمكنه منه، والمعنى: **{وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ } أي:** نحن قادرون على ذلك، لا تغلبوننا عليه،

---

[1]– عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط1997،1،الجزء7، ص539.

[2]– الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم، 1407، ط3، عدد الأجزاء:4، دار الكتاب العربي، بيروت، ص، 1078.

[3]– الرازي، مفاتيح الغيب،ج29، التفسير الكبير، محمد(606ه)، ط1، 1401ه– 1981م، دار الفكر، ص، 177.

ان أردنا ذلك. فعلى أن نبدل متعلق بقوله: **{ نَحْنُ قَدَّرْنَا }**، وعلى القول الأول متعلق **{بِمَسْبُوقِينَ}**، أي لا نسبق[1].فالمعنى بل **نحن الخالقون**، على أن الاستفهام للتقرير، وقيل: متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة، ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ أي: قسمناه عليكم، ووقتنا موت كل أحد بوقت معين، حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة [2].

التعليق:

ما من شك يساور المتلقي وهو يتأمل جملة السياقات التي تضمنت ورود الضمير نحن أن يقف على جملة ملاحظات منها:

- الضمير "نحن" ولَيَهُ الفعلُ "خَلَقَ" تارة والمشتق "الخالقون" تارة أخرى ولا نعدم معنى القدرة المطلقة المعجزة الملمة المحيطة بالأسباب جميعا فالخلق فعل بالغ التعقيد متعدد المراحل مقتض لأسباب عديدة حتى يفضي إلى مخلوق حي وهي حقا دلائل العظمة والجلال للخالق كما هي دلائل تفرده بذلك ووحدانيته في آن فالعظمة في الأفعال والصفات لهي مدعاة التعظي والتوحيد معا ولعل ذلك ما يدعم اعتقادنا بأن ورود الضمير نحن بصيغة الجمع إنما هو تأكيد على تفرد الله جل في علاه من خلال ما يحيط به من قدرة مطلقة تنفذ إرادتها فتذعن لها الأسباب جميعا وما في الضمير من معنى الكثرة والتعدد إن هو إلا تعظيم لصفات الله وأفعاله التي تقضي إرادته بكينونتها وتحققها فإذا هي تسخر لها الأسباب جميعا من موجودات معلومة وغير معلومة فتشترك جميعا وبذلك ينجز الفعل وتتحقق الإرادة والأمر الإلهي ومن ثم نزعم أنه كلما تضمن السياق معنى التعدد في الأسباب والأعمال والصفات المنسوبة لجلاله كلما صاحب ذلك توارد ضمير جمع المتكلمين "نحن".

---

[1] – أبو حيان، البحر المحيط،ج8، 1420، دار الفكر، بيروت، تحقيق: صدقي محمد جميل، ص. 210.

[2] – ابن عاشور، إرشاد العقل السليم، تفسير أبي السعود، ج8، ص، 197.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ سورة ق(1)

الواو للقسم، وللتوكيد، وقد للتحقيق والتوكيد، وقال خلقنا: بنا الدالة على التعظيم والتفخيم، وقال:

ونعلم، ولم يقل: وأعلم، للتفخيم والتعظيم، فجاء قوله: **ونحن** أقرب، منسجما مع سياق النص، والاستعمال اللغوي، فالقرآن الكريم، يستخدم صيغة الجمع للتعظيم والتفخيم، عندما يتحدث عن الخلق، والعلم، والقرب، والقدرة والمحيا والممات، وعندما يحدثنا سبحانه عن آياته الكونية في السماوات والأرض ويحدثنا عن آياته في خلق الانسان. وما نستشفه من كل ذلك في تقديرنا أن السياق الذي تتعدد فيه الصفات والأعمال بما تقتضيه من تعدد الأسباب هو السياق المقتضي معاني التعظيم والإجلال وليس في الضمير "نحن" احتمال تعدد الذوات المتكلمين إنما معنى التعدد منوط بالصفات والأعمال والأسباب المشتركة جميعا في إظهار عظمة الخالق وتعظيم قدرته وأسبابه فيها إذ يجعل لكل شيء سببا وإن كان لا يعجزه شيء وأمره للشيء كن فيكون فإرادته اقتضت أن جعل لكل شيء سببا وأوكل لها تنفيذ أمره وهو ما يدعونا إلى القول بأن مناط التعظيم جامع للأسباب كلها: إرادته وأمره وملائكته ورسله وصفاته وقدرته.

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) الله هو خالق الإنسان ومبدعه، والخالق هو الأعلم بمن خلق، والأعلم بأسراره وما يصلحه "ونعلم ما توسوس به نفسه." يعني: ونعلم ما يختلج في نفسه من خواطر وأفكار. ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ سورة الملك[2].

[1] – سورة ق، الآية 16 برواية حفص.

[2] – الملك 14، والكشاف، ص. 1044، وإرشاد العقل السليم، ج8، ص، 128.

وعلم الله تعالى لا يحجب عنه شيء، ويجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه، أي نحن أقرب اليه من روحه.

التعليق:

– أي أن الله خلق الإنسان ويعلم ما تحدثه به نفسه وما يضمر في صدره، والله أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد الواصل بين العنق والقلب. وليس بعيدا عما ذهبنا إليه من تقدير معنى التعظيم فيما يجتمع في الخلق من دلائل العلم والإحاطة فالضمير "نحن" في هذا السياق جامع كل معاني ودلالات القدرة الإلهية المطلقة من كمال التقدير والتدبير والعلم والإحاطة والقدرة...وليس أدعى لتعظيم الله وإجلاله من أن يرى عباده دلائل عظمته في خلقهم ومراحله وبديع الصنع وحسن التدبير ومطلق العلم لديه سبحانه وتعالى عما يصف المشركون ولعله بهذا كله ينتفي احتمال معنى التعدد في الذات باعتبار أن الضمير لجمع المتكلمين فالمتكلم هنا واحد قدير والمتعدد انما هو قدرة الله وأسبابه التي لا يحدها تصور ولا يحيط بها علم أو عقل بشري مخلوق.

قال تعالى: وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ سورة **القصص** [1].

[1] – سورة القصص، الآية 58، برواية حفص .

ففي المثال الأول قد توسط ضمير الفصل[1] "نحن" بين كلمتي "نا" و" الوارثين", مع أن كلمة: "الْوَارِثِينَ"، خبر كان منصوبة بالياء، ولا يصح أن تكون صفة.

إذ لا يوجد موصوف غير "نا" التي هي ضمير، والضمير لا يوصف" [2].

"وإذا كان البصريون يسمونه: "ضمير الفصل" فإن الكوفيين يسمونه بأسماء أخرى؛ تتردد أحياناً في كتب النحو: فبعضهم يسميه: "عماداً "؛ لأنه يعتمد عليه في الاهتداء إلى الفائدة، وبيان أن الثاني خبر لا وبعضهم يسميه: "دعامة"؛ لأنه يدعم الأول، أي: يؤكده، ويقويه؛ بتوضيح المراد منه، وتخصيصه، وتحقيق أمره؛ بتعيين الخبر له، وإبعاد الصفة، وباقي التوابع وغيرها؛ إذ إن تعيين الخبر يوضح المبتدأ؛ ويبين أمره، لأن الخبر هو المبتدأ في المعنى.

التعليق:

ولعله من باب أولى أن نستحضر سياقا مماثلا لهذه الآية من القرآن الكريم حيث يقول جل في علاه في سورة مريم : إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

---

[1] "ويتوسط بين المبتدأ وخبره قبل دخول العوامل اللفظية وبعده إذا كان الخبر معرفة أو مضارعاً له في امتناع دخول حرف التعريف عليه، كـ" أفعل من كذا "أحد الضمائر المنفصلة المرفوعة، ليؤذن من أول أمره بأنه خبرٌ لا نعت، وليفيد ضرباً من التوكيد. ويسميه البصريون فصلاً، والكوفيون عماداً... الضمير الذي يقع فَصْلًا له ثلاثُ شرائطَ:

أحدها: أن يكون من الضمائر المنفصلة المرفوعةِ الموضع، ويكونَ هو الأوّلَ في المعنى.

الثاني: أن يكون بين المبتدأ وخبرِه، أو ما هو داخلٌ على المبتدأ وخبره من الأفعال والحروف، نحو: "إنَّ" وأخواتها، و"كَانَ" وأخواتِها، و" ظننتُ" وأخواتِها.

الثالثُ: أن يكون بين معرفتَيْن أو معرفةٍ وما قَارَبَها من النكرات.

ويُقال له: فَصْلٌ، وعِمادٌ. فالفصل من عباراتِ البصريين، كأنّه فصل الاسمَ الأوّل عمّا بعده، وآذن بتَمامه، وأن لم يبق منه بَقيةٌ من نعتٍ، ولا بدلٍ إلّا الخبرَ لا غيرُ. والعِمادُ من عبارات الكوفيين، كأنّه عمد الاسمَ الأوّلَ، وقوّاه بتحقيق الخبر بعده.

والغرض من دخول الفصل في الكلام ما ذكرناه من إرادةِ الإيذان بتمام الاسم وكَماله، وأنّ الذي بعده خبرٌ، وليس بنعتٍ، وقيل: أُتي به ليُؤذِن بأن الخبر معرفةٌ، أو ما قاربَها من النكرات "شرح المفصل لابن يعيش الصدر عن إدارة الطباعة المنيرية،ط1،سنة1900،ج3،ص 109-110

[2] – البحر المحيط، الجزء:8 و2،، ص، 123 و246، وروح المعاني، ج13، ص، 328.

يخبر تعالى أنه الخالق المالك المتصرف، وأن الخلق كلهم يهلكون ويبقى هو، تعالى وتقدس ولا أحد يدعي ملكا ولا تصرفا، بل هو الوارث لجميع خلقه، الباقي بعدهم، الحاكم فيهم ولعاقل متدبر أن يقدر كم من الخلائق وجدت في الأرض وتعاقبت وكلها هالكة ينتهي أمرها إلى الخالق العظيم فالتركة لا يمكن تقديرها لعظمها وذلك أدعى لتعظيم خالقها الذي يرجع إليه أمره وكل الأمور مصداق قوله تعالى : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ من الآية123 من سورة هود

قال تعالى: ﴿ونَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكم ولَكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾ سورة الواقعة [1].

بالعلم والقدرة والرؤية . وقيل : ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون (الذين حضروه)[2] ونحنُ المتولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت، ونحن المتصرفون بكل شيء، وأنتم العاجزون عن دفع أدنى شيء عنه [3].

التعليق:

وهذا يدل على أن هذا القريب في نفس المكان ولكن لا نبصره، وهذا يعين أن يكون المراد قرب الملائكة لإستحالة ذلك في حق الله تعالى.

قال تعالى: نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ سورة الإنسان[4].

قال: (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ) بعد قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾سورة الإنسان ،ليعلمنا أن الذي خلقهم وشد أسرهم هو الذي أنزل القرآن، فينبغي لهم أن يسمعوا لكلام خالقهم ويطيعوا تنزيل ربهم، وليعلمهم أن خالقهم أعلم بمصالحهم وما هو

---

[1] – سورة الواقعة، الآية 85، برواية ورش.

[2]– البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون ،دار طيبة للنشر والتوزيع ،1412ه،ط1، مج8، ص25.

[3] – الآلوسي، روح المعاني، ج14، ص، 108.

[4]– سورة الإنسان، الآية 28، برواية قالون .

خير لهم. وقدم **(نحن)** على الفعل ليعلم أنه وحده الخالق لا خالق غيره، فالتقديم هنا يفيد الحصر ـــ فينبغي أن يعبدوه وحده وألا يشركوا به غيره ولا يتخذوا معه الها.

ومعنى (وَشَدَدنَا أَسْرَهُمْ) أحكمنا خلقهم ووصلنا عظامهم بعضها ببعض ووثقنا مفاصلهم. جاء في (الكشاف) : " الأسر: الربط والتوثيق... " والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب، ومثله قولهم: جارية معصوبة الخلق ومجدولته " [1]،(وَإِذَا شئنا بَدَلَنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلاً ۝)

جاء بـ (اذا) لم يقل: (وان شئنا)، ذلك أن (اذا) تستعمل للدلالة على المتيقن والمقطوع بحدوثه، أو الكثير الحدوث. وهذا إشعار بأن الله سيبدل أمثال هؤلاء الكفرة في الخلقة ويأتي بمؤمنين يؤمنون بما نزل خالقهم مطيعون له، فالمشيئة حاصلة بذاك وستتم وقد تمت.

– جاء في (التفسير الكبير): "لما كان الله تعالى عالما بأنه سيجيء وقت يبدل الله فيه أولئك الكفرة بأمثالهم في الخلقة وأضدادهم في الطاعة لا جرم حسن استعمال حرف (اذا)"[2].

التعليق:

- ذلك أن الله خلقهم وصوّرهم وإذا أراد هلاكهم لا يمنعه من ذلك أحد، ويأتي بأطوع له منهم.

وقوله تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۝ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ سورة الإسراء، جملة عطفت على الجملة قبلها أريد بها النهي عن الوأد، وقد تقدّم بيانه عند قوله تعالى في هذه السورة: كَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

[1] – الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم، 1407، ط3، عدد الأجزاء:4، دار الكتاب العربي، بيروت، ص،300/3.

[2] – التفسير الكبير، ص، 261/30، وأنوار التنزيل، ص،876.

قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾سورة الأنعام 137

و(مِنْ) تعليلية، وأصلها الإبتدائية فجعل المعلول كـــأنـــه مبتدئ من علتـــه.

والإملاق: الفقر. وكونه علـــّة لقتل الأولاد يقع على وجهين: أن يكون حاصلا بالفعل، وهو المراد هنا، وهو

الذي تقتضيه (مِنْ) التعليلية، وأن يكون متوقـــّع الحصول كما **قال الله تعالى:** في آية سورة الإسراء: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خشية إِمْلَاقٍ) لأنـــّهم كانوا يئدون بناتهم إمـــّا للعجز عن القيام بهنّ وإمـــّا لتوقـــّع ذلك.

وجملة : (**نَّحنُ نَرزُقُكُم وَإِيَّاهُمْ**) معترضة، مستأنفة، علـــّة للنـــّهي عن قتلهم.

إبطالا لمعذرتهم: لأنّ الفقر قد جعلوه عذرا لقتل الأولاد، ومع كون الفقر لا يصلح أن يكون داعيا لقتل النـــّفس، فقد بيـــّن الله أنـــه لما خلق الأولاد فقد قدّر رزقهم، فمن الحماقة أن يظنّ الأب أن عجزه عن رزقهم يخوّله قتلهم، وكان الأجدر به أن يكتسب لهم.

وعدل عن طريق الغيبة الذي جرى عليه الكلام من قوله: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إلى طريق التـــّكلم بضمير: (نحْنُ نَرْزُقُكُمْ) تذكيرا بالذي أمر بهذا القول كلـــه، حتى كأن الله أقحم كلامه بنفسه في أثناء كلام رسوله الذي أمره به، فكلـــّم الناس بنفسه، وتأكيدا لتصديق الرسول –صلى الله عليه وسلم –، وذكر الله رزقهم مع رزق آبائهم، وقدم رزق الآباء للإشارة إلى أنـــه كما رزق الآباء، فلم يموتوا جوعا، كذلك يرزق الأبناء، على أن الفقر إنـــّما اعترى الآباء فلم يقتل لأجله الأبناء.

وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي، هنا لإفادة الإختصاص: أي نحن نرزقكم وإيـــّاهم لا أنتم ترزقون أنفسكم ولا ترزقون أبناءكم[1]. وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ

[1] – تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر– تونس– 1984م، ج1، ص، 158– 158.

إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ سورة الإسراء، ضمير المخاطبين متقدما على ضمير الغائبين.

وورد في قوله تعالى: (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ) ضمير الغائبين متقدما على ضمير المخاطبين، فالكلام في الآية الأولى موجه إلى الفقراء بدليل قوله تعالى: (من إملاق) أي: من الفقر، فكان رزقهم عندهم أهم من رزق أولادهم، أمـــاَّ في الآية الثانية فانَّ الكلام موجه إلى الأغنياء بدليل قوله تعالى: (خشية إملاق) ولا يخشى الفقر إلا من كان غنيا فقدِّم وعد الآباء برزق أبنائهم، وفي الآيتين قدَّم سبحانه وتعالى الأهم.

التعليق:

حيث قال قل للناس، تعالوا أبين لكم ما حرّمه الله عليكم بالدليل لا ما حرمتموه بالجهل والتضليل، فالله حرّم الشرك به- سبحانه- وهو أعظم الذنوب، وأوجب الإنسان إلى الوالدين فحقهما مقرون بحقه تعالى، وحرّم عليكم قتل الأولاد من أجل فقر حلّ بكم، فالرازق الله لكم ولهم وأنتم لا ترزقونهم، واجتنبوا كبائر الذنوب ظاهرها وخافيها، وإياكم وقتل النفس المعصومة إلا بما شرّعه- سبحانه- من قتل، وهذا ما أوجبه الله عليكم وألزمكم إياه، فعسى أن تعقلوا الخطاب، وتفقهوا الأمر والنهي لنتقوا الله على بصيرة، فهذا شرع.

وفي قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾سورة الإنسان[1]23،24.فالضمير" نحن"، يفيد مفاد القصر؛ إذ ليس الحصر والتخصيص؛ إلاَّ تأكيدا على تأكيده " وتأكيد الضمير المتصل بضمير منفصل في قوله: إِنَّا **نَحْنُ**؛ لتقرير مدلول الضمير، تأكيدا لفظيا للتنبيه على عظمة ذلك الضمير،

[1] – سورة الإنسان، الآية 23، 24، برواية حفص.

ليفضي به إلى زيادة الإهتمام بالخبر، إذ يتقرر أنه فعل من ذلك الضميران له، لأنـــه لا يفعل إلا فعلا منوطا بحكمة، وأقصى الصواب. وهذا من الكناية الرَّمزيـــةَّ، وبعد فالخبر بمجموعه مستعمل في لازم معناه وهو التثبيت والتأييد، فمجموعة كناية، ومزية.

وإيثار فعل نزَّلنا الدال على تنزيله منجـــمـــاً، آيات وسورا، تنزيلا مفرَّقـــاً إدماج للايماء إلى أنَّ ذلك كان من حكمة الله، التي أومأ إليها تأكيد الخبر بـــ (إنَّ)، وتأكيد الضمير المتصل بالضمير المنفصل، فاجتمع فيه تأكيد على تأكيد وذلك" [1].من نحو ما جاء ورد في الفتاوى الكبرى كقوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾سورة الحجر2 " وأما قولهم التكثير للتفخيم، فيقال لهم هذا إنـــمَّا يستعمل في المواضع التي تصرِّح بأنَّ المعنى بذلك اللفظ هو واحد، والله سبحانه قد بين في غير موضع أنه واحد، فـــإذا قال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ)، وقال أيضا: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾

سورة الفتح[3].

وقد علم المخاطبون أنـــه واحد، علم أنَّ ذلك لم يقتض أنَّ ثمَّ آلهة متعددة [4].

كما أن لفظ (إنا) و(نحن) وغيرهما من صيغ الجمع، يتكلم بها الواحد له شركاء في الفعل، ويتكلم بها الواحد العظيم الذي له صفات تقوم كل صفة مقام واحد، وله أعوان تابعون له؛ لا شركاء له [5].

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، محمد الطاهر، ج 29، الدار التونسية للنشر، تونس، 1884م، ص، 402-403.

[2]– سورة الحجر، الآية 9، برواية حفص.

[3]– سورة الفتح، الآية 1، برواية حفص.

[4] – ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، تقي الدين، ج10، ط1، دار الكتب العلمية، 1408-1987، ص، 387.

[5] – ابن تيمية، التدمرية، ج 1، تقي الدين، ط6، تح: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان- الرياض، 1421- 2000م، ص،42.

فقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى نفسه باستخدام ضمير المفرد (نحن) و(إنا) للدلالة على التعظيم والتفخيم، وليس للتعدد.

إضافة إلى ذلك، استخدام الملوك والأمراء والوزراء، في الخطابات السياسية، هذا الضمير، للإشارة إلى السلطة والقوة، والمكانة العالية، وكذلك يستخدمه فرد واحد في الكتابة العلمية، من أجل تجنب ضمير" أنا" الذي قد يشير للأنانية والذاتية والفردية، وعند كتاب الأعمدة التحريرية، في الصحف العلمية والمجلات، وكذلك المعلقون في وسائل الإعلام الأخرى، يشيرون إلى أنفسهم بضمير المفرد(نحن) عند إعطاء آرائهم، وفي بعض الأساليب التي يستخدمها الكتـــّاب والمؤلفون، لتجنب الذاتية في المؤلفات؛ في هذه الحالات. ولا يعني ذلك مماثلة الخطاب الرباني المنزه إلى غيره من الكلام إلا على سبيل تقريب الفهم وتيسيره على اعتبار أن القرآن جاء على سنن العرب وبلغتهم فما من حرج أن يقارب الفهم بهذا التناول أو ذاك ويبقى كلام الله مثالا يستعصي على النظير والمثيل منزها عن كل شبه لكلام البشر.

فالقارئ – كذلك– والمستمع، لا يتمكن من تمييز المعنى الأساس لهذا الضمير إلا بالاحتكام إلى القرائن التي يتضمنها السياق والتي يقر بها العقل ويقتضيه سنن اللغة.

ونلحظ أن الضمير هنا للتعظيم، وهكذا في كل الآيات التي تتحدث عن فعل من أفعاله تعالى، أو عن فضل من أفضاله؛ ذلك لأن كل فعل من أفعاله تعالى يحتاج إلى عدة صفات، يحتاج إلى علم، وإلى حكمة، وإلى قدرة ... وكل هذه الصفات كامنة في نحن الدالة على العظمة المتكاملة في الأسماء الحسن.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾ سورة يس[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾سورة ق [2].

---

[1] – سورة يس، الآية 12، برواية حفص.

[2] – سورة ق، الآية 43، برواية ورش.

فالحديث هنا عن قضيتين عظيمتين مهمتين للإنسان، إن لم يكونا أهم وأعظم حاجتين فيه: الإحياء، والإماتة، إضافة إلى قضية الكتابة للحسنات والسيئات، وما يترتب عليها من حساب وثواب وعقاب،

وبعث وآخرة، ومصير ينتظر الإنسان، إما إلى نار، وإما جنة.

ولهذا استخدم الضمير نحن وسبقه بـــ "إن" و"نا" ضمير العظمة المتصل.

جاء في تفسير مفاتيح الغيب للرازي ما يأتي:

(إِنَّا نَحْنُ) يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون مبتدأ وخبرا_ أي نا تعرب: ضميرا متصلا اسم إن المنصوب، المبتدأ المرفوع قبل دخول إن، وخبر إنّ المرفوع بعد دخولها، كقول القائل:

(أَنا أَبو النَجمِ وَشِعري شِعري لِلَهِ دَرّي مِما يُجِنُّ صَدري) [1].

ومثل هذا يقال عند الشهرة العظيمة، وذلك لأن من لا يعرف يقال له من أنت؟ فيقول: أنا ابن فلان، فيعرِّف.

ومن يكون مشهورا إذا قيل له من أنت؟ يقول أنا أنا، أي مشهور، أي لا معرَّف لي أظهر من نفسي، فقال، إنا نحن، معروفون بأوصاف الكمال، وإذا عرَّفنا بأنفسنا، فلا تنكر قدرتنا على إحياء الموتى.

وثانيهما: أن يكون الخبر {نُحْيِي} كأنه قال إنا نحيي الموتى، فـــــ إنَّ واسمها، ونحيي هي الخبر، و{نَحْنُ} يكون تأكيدا، والأول أولى. فدلت على الشهرة والعظمة والتأكيد [2].

فان فيه إشارة إلى التوحيد، لأن الاشتراك يوجب التمييز بغير النفس،{إنا نحن} المسألة الثانية: زيدا إذا شاركه غيره في الاسم، فلو قال: أنا زيد، لم يحصل التعريف

---

[1] – أبو النجم العجلي، ديوان أبو نجم العجلي، تح: محمد أديب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1472ه–2006م، ص، 198.

[2] – الرازي، مفاتيح الغيب،ج29، التفسير الكبير، محمد(606ه)، ط1، 1401ه– 1981م، دار الفكر، ص، 48.

التام، لأن للسامع أن يقول: أيما زيد؟ فيقول ابن عمرو. ولو كان هناك زيد آخر أبوه عمرو، لا يكفي قوله ابن عمرو، فلما قال الله: { إِنَّا نَحْنُ} أي ليس غيرنا أحد يشاركنا، فنمتاز، وحينئذ تصير الأصول الثلاثة مذكورة، الرسالة والتوحيد، والحشر.

هنا دل الضمير على: التوحد والتفرد، والتمييز، والتعريف التام، وقدم الإحياء على الكتابة، مع أن الكتابة أسبق: لأنه قال: (إنا نحن)، ولكن الإحياء أعظم من الكتابة، فقدم الأمر العظيم، وذكر ما يعظم ذلك العظيم.

فهنا دلّ الضمير نحن على العظمة والجبروت وتعظيم المعظم، والتعريف بالأمر العظيم، وتقديمه[1].

– ونكتب ما قدموا: كناية عن المجازاة والإحاطة والعلم، بأعمالهم بالكتابة التي تضبط الأشياء[2].

وجاء في تفسير إرشاد العقل السليم: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الموتى}: بيان لشأن عظيم، ينطوي على الإنذار والتبشير، انطواء إجماليا، أي نبعثهم بعد مماتهم، {وكل شيء} من الأشياء كائنا ما كان، {أحصيناه في إمام مبين}، أصل عظيم الشأن، مظهر لجميع الأشياء مما كان، وما سيكون، وهو اللوح المحفوظ[3] .

إنذار، وترهيب وترغيب؛ ووعد ووعيد، وتكرير الضمير لإفادة الحصر، أو للتقوية، وما ألطف هذا الضمير الذي عكسه كطرده ههنا، وضمير العظمة، للإشارة إلى جلالة الفعل، والتأكيد للاعتناء بأمر الخبر، أو لرد الإنكار. {وكل شيء} من الأشياء كائنا ما كائن، والنصب على الاشتغال، أي وأحصينا كل شيء أحصيناه، أي بيناه وحفظناه، ولا يخفى ما في ذلك من البعد [4].

---

[1] – المصدر نفسه، ص، 49.

[2] – أ بو حيان، البحر المحيط، ج9، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر– بيروت–، 1420، ص، 52.

[3] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 8،، محمد بن محمد العمادي، ت 951 ه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص،161.

[4] – الآلوسي، روح المعاني،ج11، ص، 33.

(إِنَّا نَحْنُ) هذان ضميران للمتكلم على سبيل التعظيم، فانا هي نحن، كما لو قلت: زيد زيد، فماذا أضافت نحن بعد إِنَّا؟. القاعدة هي صياغة اللغة أن تمييز الشيء يأتي حين يكون هناك إشتراك، فان لم يكن اشتراك فلا يأتي التمييز، كما لو قلت لمن يطرق بابك: من أنت؟ يقول: محمد، وأنت تعرف محمدين كثيرين فتقول: أيُّ المحمدين أنت؟ فيقول: محمد أحمد، وأيضا أنت تعرف كثيرين بهذا الاسم، فتقول: محمد أحمد من؟ فيقول: محمد أحمد محمود، وعندما يحصل التمييز لوجود الاشتراك في الأولى، وفي الثانية.

فكأن الحق سبحانه لما قال: {إِنَّا} وليس هناك غيره قال: {إِنَّا نَحْنُ} يعني: كأنه قال إِنَّا إِنَّا يعني: لا أحد سواي، فليس في هذه المسألة اشتراك [1].

ونوضح أن كلام الله تعالى عن نفسه قد يأتي بصيغة الجمع كما في الآيتين على التوالي ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾سورة القدر، و﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾سورة الحجر، ونلاحظ أن الضمير هنا للتعظيم وهكذا في كل الآيات التي تتحدث عن فعل من أفعاله تعالى، أو عن فضل من أفضاله، ذلك لأن كل فعل من أفعاله تعالى يحتاج إلى عدة صفات: يحتاج إلى علم، وإلى حكمة، وإلى قدرة.. الخ، وكل هذه الصفات كامنة في (نحن) الدالة على العظمة، المتكاملة في الأسماء الحسنى لله تعالى.

أما حين يتكلم سبحانه عن الذات الواحدة، فيأتي بضمير المتكلم المفرد كما في الآية الكريمة: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾سورة طه. ولم يقل مثلا: إننا نحن الله، لأن "إننا" و"نحن" تدلان على الجمع، والسياق هنا سياق توحيد والكلام هنا عن الوحدانية، فلذلك وافق أن يأتي بصيغة المفرد.

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، ج 26، ص، 43.

لذلك يؤكد الحق سبحانه هذه الوحدانية بعدة وسائل للتوكيد في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ سورة طه، فلم يقل سبحانه وتعالى: فاعبدنا وأقم الصلاة لذكرنا، لأن العبادة تكون لله وحده، ثم إن عملية البعث، وإحياء الموتى، لله وحده، لا يشاركه فيها أحد.

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾سورة الحجر وقال في موضع آخر: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾سورة الإنسان[1] .

جاء في تفسير الكشاف ما يأتي: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾؛ ردا لإنكارهم واستهزائهم في قولهم: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ سورة الحجر [2].

ولذلك قال: إنا نحن، أي نحن بعظم شأننا وعلو جانبنا، نزّلنا الذي أنكروه وأنكروا نزوله عليك، وعمـــوا منزّله حيث بنو الفعل للمفعول، إيماء إلى أنه أمر لا مصدر له، وفعل لا فاعل له، فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات، وأنه هو الله تعالى

الذي بعث به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وبين يديه ومن خلفه رصد[3].

فهذه الصيغة وإن كانت للجمع، إلا أن هذا من كلام الملوك عند إظهار التعظيم، فان الواحد منهم إذا فعل فعلا، أو قال قولا، قال: إنا فعلنا كذا، وقلنا كذا فكذا ههنا[4].

وقد اشتملنا على عدد من وجوه التأكيد، و{ نَحْنُ} ليس فصلا، لأنه لم يقع بين اسمين، وإنما هو: إما مبتدأ، أو توكيد لاسم إن، ثم قال: وإنا له لحافظون أي: حافظون له من الشياطين، وفي كل وقت، فلا يعتريه زيادة ولا نقصان، ولا تحريف، ولا تبديل[5].

---

[1] – سورة الإنسان، الآية 23، برواية قالون.

[2] – سورة الحجر، الآية 6، برواية قالون.

[3] – الزمخشري، الكشاف، ص، 558.

[4] – الرازي، مفاتيح الغيب ج 13، ص، 51.

[5]– أبو حيان، البحر المحيط، ج 5 و6، الأندلسي محمد بن يوسف الأندلسي، ت748ه، تحقيق: أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413ه، 1993م، ص، 435.

ولا يخفى ما في سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة، وعلى فخامة شأن التنزيل، وقد اشتملنا على عدة وجوه من التأكيد، ونحن ليس فصلا لأنه لم يقع بين اسمين، وإنما هو إما مبتدأ، أو توكيد لاسم إن[1]. **قال تعالى:** ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾سورة الحجر2، وقال : وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾سورة الصافات3، وقال: وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ سورة الصافات 4.

تتحدث الآية الأولى في قضيتين عظيمتين هما الإحياء والإماتة، ويستخدم القرآن الكريم، الضمير" نحن "ليفيد هنا الحصر، وهو إما تأكيد للضمير المتصل الأول، أو مبتدأ خبره الفعل، والجملة خبر لـــ إِنَّا، أي لا قدرة لأحد على الإحياء والإماتة إلا نحن.

وهناك إشارة مهمة في تقديم الإحياء على الإماتة، وزيادة لام التوكيد في نحن، بقوله:" لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ"، ففي ظاهر الأمر كان من الممكن أن يقول الحق: " إنـــّا نميتُ ونُحْيِي"، لأنه سبحانه يخاطبنا ونحن أحياء، ولكنه أراد بهذا القول أن يلفت نظرنا إلى الموت الأول، وهو العدم المحض الذي أنشأنا منه، هو ما كان قبل أن نخلق، وهو سبحانه القائل: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ رْجَعُونَ ﴿٢٨﴾[5].

لقد أوجدنا الله لنكون أحياء؛ ثم يميتنا، ثم يبعثنا من بعد ذلك للحساب.

---

[1] – الآلوسي، روح المعاني، ج 7، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود، ت 1270 ه، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415، ص، 263 .

[2]– سورة الحجر، الآية 23، برواية ورش.

[3] – سورة الصافات، الآية 165، برواية ورش.

[4] – سورة الصافات، الآية 166، برواية ورش.

[5] – سورة البقرة، الآية 28، برواية حفص.

ثم يذيـــلّ الحق سبحانه الآية بقوله: {وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ}، وهذا يعني أن هناك تركة كبيرة؛ وهو القائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾سورة مريم. وهو بذلك يرث التارك والمتروك.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ سورة الإنسان.

أي مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له كما يعرب عنه تكرير الضمير مع إنَّ [1]، سواء كان المنفصل تأكيدا أو فصلا أو مبتدأ [2].

وتكرار الضمير بعد إيقاعه اسما لـــــ إنّ: تأكيد على تأكيد، وهو أبلغ لمعنى اختصاص الله بالتنزيل، ليتقرّر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه إذا كان هو المنزل، كأنه قيل: ما نزّل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما إلا أنا لا غيري [3].

* فالمقصود من هذه الآية تثبيت الرسول، والتأكيد والمبالغة على أن ذلك وحي حق، وتنزيل صدق من عند الله، وإزالة الوحشة عنه، وتعظيمه وتصديقه وتقويته على تحمل التكليف المستقبل، فجاء التوكيد بـــ إنّا، ونحن، وبالمصدر، لمضمون الخبر، ومدلول المخبر عنه[4].

قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ سورة ق [5].

﴿ نُحيِۦ وَنُمِيتُ ﴾ من غير أن يشاركنا في ذلك أحد، أمور مؤكدة لمعنى العظمة، ﴿وإِلَيْنَا الْمَصِيرِ﴾

---

[1] – ابن عاشور، إرشاد العقل السليم، ج 9، ص، 57.

[2] – الآلوسي، روح المعاني، ج 15، ص، 182.

[3] – الزمخشري، الكشاف، ص، 1167.

[4] – الرازي، مفاتيح الغيب، ج 30، ص، 257.

[5] – سورة ق، الآية 43، برواية حفص.

للجزاء في الآخرة، ولأن بعضهم ينكر هذه الحقيقة، أكدها سبحانه بتكرار الضمير،﴿إِنَّا نَحْنُ ﴾هو وحده سبحانه القادر على ذلك ﴿وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع والمآب، فالبداية منا والنهاية إلينا [1].

التعليق:

إن الله يحيي الخلق بعد الموت، ويميتهم في الدنيا بعدما أحياهم، وإليه – سبحانه– يعودون ليحاسبهم على أعمالهم.

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ سورة الكهف[2].

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ لما اقتضى **قوله تعالى:** << لنعلم أيُّ الحزبين أحصى>>

إختلافا وقع في أمد الفتية، عقــَّب بالخبر عن أنـــه عز ّوجلَّ يعلم من أمرهم بالحق الذي وقع.

وقوله تعالى: << إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ >> أي: شباب وأحداث حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة، كذلك قال

أهل اللسان: رأس الفتــّوة الإيمان. وقال الجنيد: الفتوَّة: بذل النـــَّدى وكفُّ الأذى وترك الشكوى.

وقوله تعالى: << وَزِدنَاهُم هُدًى >> **أي:** يسرناهم للعمل الصالح، من الإنقطاع إلى الله تعالى، ومباعدة الناس، والزهد في الدنيا، وهذه زيادة على الإيمان [3].

* وبذلك تسهم الإحالات المتقدمة في تحقيق الترابط الدلالي على مستوى النص.

---

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، ج 28، ص. 190، وابن عاشور، إرشاد العقل السليم، ج 8، ص، 135.

[2] – سورة الكهف، الآية 13، برواية الدوري.

[3] – أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص،298– 299.

التعليق:

– نرى هنا أن الله يخبر النبي بقصة أهل الغار بالصدق واليقين، فهم شبان وحدّوا ربهم وأطاعوه فزادهم هدى ويقينا وثباتا على الحق.

قال تعالى: إِذْ قَالُوا لَيُوسفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾[1].

قوله تعالى:<< إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ >> << يوسف >> رفع بالإبتداء؛ واللام للتأكيد، وهي التي لا يتلقى بها القسم، أي: والله ليوسف. << وَأَخُوهُ >> عطف عليه.

<< أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا >> خبره، ولا يثنّى ولا يجمع لأنه بمعنى الفعل؛ وإنّما قالوا هذا لأنّ خبر المنام بلغهم فتآمروا في كيده.

<< وَنَحْنُ عُصْبَةٌ >> أي: جماعة، وكانوا عشرة. والعصبة ما بين الواحد إلى العشرة، وقيل: إلى الخمسة عشر، وقيل: ما بين الأربعين إلى العشرة، ولا واحد لها من لفظها، كالنّفر والرّهط.

<< إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ >> لم يريدوا ضلال الدِّين؛ إذ لو أرادوه لكانوا كفّارا، بل أرادوا: لفي ذهاب عن وجه التدبير، في إيثار اثنين على عشرة مع استوائهم في الإنتساب إليه: وقيل: لفي خطأ بيّن بايثاره يوسف وأخاه علينا[2].

التعليق:

– إذ قال إخوة يوسف بعضهم لبعض: إن يوسف وأخاه الشقيق أحبُّ إلى أبينا منّا، فهو يؤثرهما بالإقبال والعناية والخطوة أكثر منا، ونحن أسرة واحدة لا فرق بيننا، إن أبانا وقع في غلط عظيم بيّن؛ حيث لم يعدل بيننا في الحب، ونحن أبناء رجل واحد، ولا فضل لأحد منّا على أخيه.

---

[1] – سورة يوسف، الآية 8، برواية حفص.

[2] – تفسير البغوي، ص،2 / 411.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾سورة يوسف .[1]

اللام موطئة للقسم وجوابه: ﴿ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَة ضعفاء مغبونون، أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسارة، والواو في << وَنَحْنُ عُصْبَة>> للحال[2].

التعليق:

قالوا لأبيهم: والله إن الذئب لو أكله ونحن جماعة قوية وفينا شجاعة فانه لا خير ولا منفعة ولا رجولة فينا، وهذا لا يكون أبدا، وإذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه.

قال تعالى: لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾[3].

<<فقالوا>> لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتفاديهم عن قبول الحق.

<<إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا >> أي سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف أو حيرت كما يعضده قراءة من قرأ سكرت أي حارت.

<<بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ >> قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على أنهم يبتون القول بذلك وأن ما يرونه لا حقيقة له وإنما هو أمر حيل إليهم بالسحر وفي إسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وإيرادها بعد تسكير الأبصار لبيان إنكارهم لغير ما يرونه [بعيونهم] فان عروج كل منهم إلى السماء وإن كان مرئيا لغيره فهو معلوم بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الإبصار فهم يدعون أن ذلك نوع آخر من

---

[1] – سورة يوسف، الآية 14، برواية ورش.

[2] – تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر– تونس– 1984م، ج1، ص،163.

[3] – سورة الحجر، الآية 15، برواية ورش.

السحر غير تسكير الأبصار [1]، يريد الله أن يدل على عظمته حيث أن ضمير " نحن" يعود إلى ذاته تعالى، لأن خلق الإنسان أمر عظيم لا يقدر على فعله أحد إلا الله.

التعليق:

ولقال الكفار بعد صعودهم ومشاهدتهم الملائكة إننا مسحورون، وقد تخيـــّلنا رؤية الملائكة، والذي سحرنا هو محمد فهم مكذبون سواء أشاهدوا آية أم لم يشاهدوا.

قال تعالى: قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ ۖ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾[2].

قوله تعالى: << قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا >> ردُّوا عليهم القول: << يرجع بعضهم إلى بعض القول >> فكان الرَّدُّ هو: << قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ >> ؟ والاستفهام هنا بمعنى النفي، يعني: لم نصدّكم عن الهدى بعد إذ جاءكم، بل أنتم الذين اخترتم الكفر، وهنا صدق قول الله سبحانه وتعالى: << إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ >> **[البقرة 166]** [3]، فهنا قال تعالى: << أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ >> يعني: نحن متبرِّئون منكم، ولا أجبرناكم على الكفر، بل أنتم الذين اخترتم ذلك.

وقوله تعالى: << صَدَدْنَاكُمْ >> أي: صرفناكم.

وقوله سبحانه وتعالى: << عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ >> هذا من باب تحقيق مجيء الهدى ووضوحه، وهذا إقرار من هؤلاء الرؤساء المستكبرين على أن الهدى قد جاء

---

[1] – تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر– تونس– 1984م، ج1، ص، 298–299.

[2]– سورة سبأ، الآية 32، برواية شعبة عن عاصم.

[3] – سورة البقرة، الآية 166، برواية ورش .

وبان واتضح << بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ >>، قال: المفســـِّر رحمه الله في تقديرها: [لا] إشارة إلى أنَّ الاستفهام هنا للنفي، وكلـــّما جاءت كلمة (لا) بعد الإستفهام فان ترجمتها أنَّ المفســـِّر رحمه الله يرى أن الإستفهام هنا للنفي [1].

التعليق:

قال السادة والكبراء للضعفاء: هل نحن منعناكم من الإيمان بعدما جاءكم الهدى، بل كنتم أشرارا فجارا بقبولكم الغواية مختارين ولم يجبركم أحد.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾سورة العنكبوت[2].

قوله عزّ وجل: ﴿ آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ هذا من بلاغة القرآن، لم يقل: وما قلتم أو ما جئتم به، بل قال: ﴿ بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ ؛ لأن لديهم من التحريف والتـــّبديل مالا يمكن معه أن نقبل كلَّ ما جاءوا به، لكن نؤمن بالمنزَّل إليهم، ولهذا جاء في الحديث الصحيح:

<< لا تصدِّقوهم ولاتكذِّبوهم>> وقولوا:﴿ آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ ،فنحن مؤمنون بالمنزَّل لا المبدَّل، وصفة الإيمان بما أنزل إلينا ليس كصفة الإيمان بما أنزل إليهم، لأن إيماننا بما أنزل إلينا ملزم بالاتـــِّباع وإيماننا بما أنزل إليهم ليس ملزما، فاذا وجد في شرعنا ما يخالف شرعهم فالمتـــّبع شرعنا، لكننا نؤمن بأن مانزِّل إليهم من عند الله وأنه حق، وأنه يجب عليهم اتـــِّباعه في حال قيامه وعدم نسخه.

وقوله: بما << أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُم >> من الله سبحانه وتعالى؛ لأن جميع الكتب المنزَّلة.

---

[1] – محمد صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، المجلد1، دار ابن الجوزي، ص، 208.

[2] – سورة العنكبوت، الآية 46، برواية شعبة عن عاصم.

قوله عزَّوجلَّ: << وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُم وَٰحِد >>، أي: معبودنا؛ لأن (إِلَه) بمعنى مألوه، وصيغة فعال بمعنى مفعول كثيرة في اللغة العربية، فالمألوه بمعنى المعبود، والإله يطلق على المعبود على الأنبياء من الله عز وَّجلَّ. بحق وعلى المعبود بغير حق.

وقوله: << وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ>> أي: نحن وأنتم لا نحن وحدنا، << وَنَحْنُ لَهُ >> أي: لهذا الإله الواحد مسلمون، وتقديم المعمول يفيد الحصر، يعني: له لا لغيره [1].

التعليق:

– ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنـــه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود منها ضائع، ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الإله واحد، ومن آمن به، واتخذه إلها، وآمن بجميع كتبه ورسله، وانقاد لله واتبع رسله، فهو السعيد، ومن انحرف عن هذا الطريق، فهو الشقي.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾سورة القمر[2].

(أم) منقطعة لإضطراب انتقالي، والإستفهام المقدر بعد (أم) مستعمل في التوبيخ، فان كانوا قد صرحوا بذلك فظاهر، وإن كانوا لم يصرحوا به فهو إنباء بأنهم سيقولونه.

و<< جميع >> اسم للجماعة الذين أمرهم واحد، وليس هو بمعنى الإحاطة، ونظيره ما وقع في خبر عمر مع علي وعباس رضي الله عنهم في قضية ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم من أرض فدك، قال لهما << ثم جئتماني وأمركما جميع وكلمتكما واحدة .

---

[1] – محمد صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، المجلد1، دار ابن الجوزي، ص، 252– 253– 255.

[2] – سورة القمر، الآية 44، برواية حفص.

ومنتصر: وصف << جميع >>، جاء بالإفراد مراعاة للفظ << جميع >> وإن كان معناه متعددا[1].

التعليق:

بل يقول الكفار: نحن أصحاب رأي وعزيمة وحزم في الأمور، وأمرنا مجتمع ومنتصرون على من حاربنا، نغلب من غالبنا.

قال تعالى: << لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِير وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ >> **[آل عمران 181]** [2].

لهم العقاب الشديد، المعنى: لم يخف عليه ما قالوه، وأنـــه سبحانه أعدَّ << لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ>>

والعذاب الأليم، هذا؛ و: سمع، يسمع من الأفعال الصـــّوتية، إن تعلـــَّق بالأصوات؛ تعدَّى إلى مفعول واحد، وإنَّ تعلق بالذَّوات؛ تعدى إلى اثنين، الثاني منهما جملة فعليـــّة مصدَّرة بمضارع من الأفعال الصوتية. مثل قولك: سمعت فلانا يقول كذا. وهذا اختيار الفارسي.

<< قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ >> قالوا ذلك تمويها على ضعفائهم، لا أنـــَّهم يعتقدون هذا، وغرضهم تشكيك الضعفاء من المؤمنين، وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم أي: إنه فقير على قول محمـــَّد؛ لأنه اقترض منـــَّا. << سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ >>: سنجازيهم عليه. وقيل: معناه: سنكتبه في صحائف أعمالهم[3].

التعليق:

---

[1] – تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر– تونس– 1984م، ج1، ص، 211 – 212.

[2] – سورة آل عمران، الآية 181، برواية قالون.

[3] – محمد علي طر الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، المجلد2، دار ابن كثير، ص، 327.

– سمع الله مقالة اليهود الشنيعة القبيحة– قاتلهم الله– التي قالوا فيها: إن الله فقير؛ ولذلك يطلب القرض منـــاً، ويدعونا للإنفاق، ولو كان غنيا لا ستغنى عن أموالنا ولم يطلب منـــاً أن نتصدق وأن ننفق، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنـــه سوف يسجل عليهم هذه المقولة القبيحة، وهذه الكلمة النابية؛ ليحاسبهم بها، وأيضا سوف يأخذهم بما فعلوه في سابق الزمان من قتلهم لأنبياء الله عزّ وجلّ، فالله – سبحانه وتعالى– له ما في السموات والأرض، وهو الغني عن كل أحد، ولكنه أراد من العبد أن يتصدق على نفسه بشيء من المال يعطيه الفقير والمحتاج والمسكين.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾سورة البقرة [1].

قوله تعالى: << قَالُوا >> أي معترضين على هذا << أنى>> بمعنى الاستفهام الإنكاري << يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا >>.

ثم قالوا معززين لاستبعادهم هذا الشيء: << وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ >>؛ كأنهم يرون أن الملك لا يكون إلا كابرا عن كابر، وأن هذا لم يسبق لأحد من آبائه أنه تولى الملك بخلافنا نحن؛ فان الملوك كانوا منا؛ فكيف جاءه الملك؟! أيضا << وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً من المال >>: فهو فقير؛ وقد يقال: إنه ليس فقير؛ لكن ليس عنده مال واسع؛ وفرق بين الفقير المعدم، وبين من يجد، ولكن ليس ذا سعة_ يعني ليس غنيا ننتفع بماله_، ويدبرنا بماله، ويحصـــّل الجيوش، والجنود بماله؛ فذكروا علتين، إحداهما: من حيث التوسط في مجتمعه؛ والثانية: من حيث المال؛ إذا فقد القوة الحسبية، والقوة المالية؛

[1] – سورة البقرة، الآية 245، برواية قالون.

قالوا: هذا الرجل ليس عنده حسب؛ فليس من أبناء الملوك؛ وليس عنده مال؛ فليس من الأثرياء الذين يخضعون الناس بأموالهم.

وجملة: << وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ>> في موضع نصب على الحال [1].

التعليق:

قال له نبيـــِّهم إن الله قد اختاركم قائدا هو طالوت، فاعترضوا وقالوا: كيف تكون القيادة

والملك لطالوت؛ وهو فقير والملك يحتاج إلى مال، فبالمال يطوّع الرجال ويقام القتال، والمال عندنا، فنحن أولى بالملك منه لغنانا وفقره، فردّ عليهم نبيـــِّهم وقال: حصل الإختيار من الله وهو أعلم بالحكم والمصالح وعواقب الأمور، وطالوت معه سعة علم وقوة جسم، فصاحب العلم قوي النفس، وصاحب الجسم قوي البطش وهذا أكمل الهيبة والسلطان.

قال تعالى: << قُل أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُم وَلَنَآ أَعمَٰلُنَا وَلَكُم أَعمَٰلُكُم وَنَحنُ لَهُۥ مُخلِصُونَ >> **[البقرة 139]** [2].

الخطاب في قوله تعالى:<< قُلْ>> موجه إلى رسول الله<< قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللَّهِ >>

صلى الله عليه وسلم؛ و<< أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللَّهِ >> موجه للذين يحاجون الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود، والنصارى؛ و<< المحاجة >> هي أن يدلي كل خصم بحجته لينقص حجة الخصم الآخر.

قوله تعالى: << وَلَنَآ أَعمَٰلُنَا وَلَكُم أَعمَٰلُكُم >> أي أننا لا نسأل عنكم، ولا تسألون عنا؛

كل له عمله؛ وسيجازيه الله به يوم القيامة.

---

[1] – محمد صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، المجلد1، دار ابن الجوزي، ص، 212،213.

[2] – سورة البقرة، الآية 139، برواية حفص عن عاصم.

قوله تعالى: << وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ>> أي لله عزّ وجلّ؛ و<< الاخلاص>> تنقية الشيء من كل الشوائب التي قد تعلق به؛ فالمعنى: أننا مخلصون لله الدين لا نشرك به شيئا[1].

التعليق:

قل أيُّها الرّسول وأيُّها المسلم لأهل الكتاب: - أتجادلوننا في ربِّنا- جلَّ في علاه-

وتزعمون أنَّكم أولى به منَّا، وأنه ربكم وحدكم وهو الذي خلقنا وخلقكم ورزقنا ورزقكم، فأي تفريق هذا والله رب الجميع، ثم إن صلاحنا لنا وضلالنا علينا، وأنتم حسناتكم لكم وسيئاتكم عليكم ونحن نخلص عبادة ربنا لا كما فعل أهل الكتاب من الإشراك مع الله، فاخلاص العبادة هو أصل الأصول ورأس الأمر، فنحن نتفق مع أهل الكتاب في الربوبية وهي أن خالقنا واحد، ونختلف معهم في الألوهية فنحن موحدون مخلصون وهم مكذبون مفرِّقون.

قال تعالى: << صِبْغَةَ اَللَّهِۖ وَمَنَ اَحْسَنُ مِنَ اَللَّهِ صِبْغَةۖ وَنَحْنُ لَهُ عَٰبِدُونَۖ >> **[البقرة 138]** [2].

قوله تعالى: << صِبْغَةَ اَللَّهِۖ >> ؛ << الصبغة >> معناها اللون؛ وقالوا: المراد بـــ << صِبْغَةَ اَللَّهِۖ >> دين الله؛ وسمي << الدين>> صبغة لظهور أثره على العامل به؛ فان المتدين يظهر أثر الدين عليه: يظهر كل صفحات وجهه، ويظهر على مسلكه، ويظهر على خشوعه، وعلى سمته، وعلى هيئته كلها؛ فهو بمنزلة الصبغ للثوب يظهر أثره عليه.

ووجه نصب << صِبْغَةَ اللَّهِ >> : قيل: إنها مصدر معنوي؛ **لقوله تعالى:**<< آمنا>>

---

[1] – محمد صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، المجلد1، دار ابن الجوزي، ص، 99.

[2] – سورة البقرة، الآية 138، برواية ورش عن نافع.

في قوله تعالى:<< قولوا آمنا بالله >>؛ فان << آمنا >> في آية أخرى قبلها؛ وببعد أن يكون هذا متعلقا بها؛ ولأنه فصل بينهما بفواصل كثيرة؛ إذا هو منصوب على الإغراء. يعني – الزموا صبغة الله، ولا يصدنكم هؤلاء عن دينكم–.

قوله تعالى: << وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً >>، الإستفهام هنا بمعنى النفي؛ أي لا أحد أحسن من الله صبغة؛ وذلك؛ لأن دين الله عز ّوجلّ مشتمل على المصالح، ودرء المفاسد؛ ولا يوجد دين يشتمل على هذا إلا ما جاء من عند الله، سواء كان الدين الإسلامي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، أو الأديان الأخرى ما دامت قائمة لم تنسخ؛ ومجيء الإستفهام بمعنى النفي أبلغ من النفي المجرد؛ لأنه يتضمن التحدي.

قوله تعالى: << وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ>>: الضمير << نحن>> يعود على النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه؛ وتقديم المعمول في قوله تعالى: << لَهُ عَابِدُونَ>> على عامله هنا له فائدتان؛ أولهما:

لفظية؛ وهي مراعاة فواصل الآيات؛ والثانية: معنوية؛ وهي الحصر، والإختصاص؛ فهو كقوله تعالى: << إياك نعبد>> **[الفاتحة 05]**؛ و<< العبادة >> التذلل لله عز ّوجلّ بفعل أوامره محبة له،واجتناب نواهيه تعظيما له مع شعور الإنسان بمنزلته، وأن منزلته أن يكون عبدا لله عز ّ وجل ّ [1].

قال تعالى: <<وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ >> **[التوبة 52]**[2].

وجملة <<وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ>> معطوفة على جملة الإستفهام عطف الخبر على الانشاء:

بل على خبر في صورة الإنشاء، فهي من مقول القول وليس فيها معنى الإستفهام.

والمعنى: وجود النون بين الفريقين في عاقبة الحرب في حالي الغلبة والهزيمة.

---

[1] – محمد صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، المجلد1، دار ابن الجوزي، ص،96– 97.

[2] – سورة التوبة، الآية 52، برواية السوسي.

وجعلت جملة << وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ>> اسمية فلم يقل ونتربــّص بكم بخلاق الجملة المعطوف عليها:

لإفادة تقوية التربصّ، وكناية عن تقوية حصول المتربــِّص لأن تقوية التربــّص، وكناية عن تقوية حصول المتربــِّص فتفيد قوة حصوله وهو المكنــَّى عنه.

وتفرغ على جملة << هل تربصون>> جملة << فتربصوا إنــَّا معكم متربصون>> لأنه إذا كان تربــّص كلّ من الفريقين مسفرا عن إحدى الحالتين المذكورتين كان فريق المؤمنين أرضى الفريقين بالمتربصــِّين لأنّ فيهما نفعه وضرّ عدوه.

والأمر في قوله << تربــّصوا>> للتحضيض المجازي المفيد قلــّة الإكثارات بتربــصهــّم.

التعليق:

- قل – أيــُّها الرسول– للمنافقين: ماذا تنتظرون أن ينزل بنا إلا احدى العاقبتين الحميدتين، إما نصر وعزة في الدنيا، وإما شهادة وأجر عظيم في الآخرة، وأما نحن فننتظر أن ينزل الله بكم قارعة من السماء، أو نقتلكم ونأسركم بأيدينا، فانتظروا ما يحل بنا ونحن ننتظر ما يحل بكم.

ونفهم أن الضمير هنا للتعظيم، فالعنصر الاشاري " نحن" يخضع لإرادة المتكلم، وهو يعبر عن قدرة الله وعظمته. وهذا ما يبين دلالة الله وقدرته على عباده.

ويمكن أن نجمل ما تم تناوله في مختصر من القول مفاده أن ضمير المتكلم (المخاطِب) الإلهى (نحن) ورد في أربع وعشرين آية وإن لم نحط بها جميعها في دراستنا واكتفينا بما أتاحه الوقت والجهد والبحث وقد تنوعت موضوعاتها بين العلم الإلهى بما يجرى فى الأرض والرزق ودمار القرى الظالمة والخلق والموت الطبيعي وإنزال المطر, من قبيل ما نمثل له بما يلي من الآيات على التوالي مما ورد في الذكر الحكيم:

1- ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ

تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ سورة الإسراء،، وسياقها يؤكد صفة العلم عن طريق الملائكة. الكرام الكاتبين.

2- ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ سورة الزخرف ،وسياقها يتناول الرزق وأسبابه عن طريق العمل أو الطبيعة.

3- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾سورة القصص، حديث عن دمار القرى الظالمة بتسليط قوى الطبيعة التي تأتمر بأمر الله جل جلاله

4-3-1- ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ سورة الواقعة. حديث عن المطر والذي يدرج ضمن السنن الطبيعية .

5- ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ سورة الواقعة، حديث عن الخلق

6- ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ سورة الواقعة ،حديث عن الموت الطبيعي المقدر بالسنن الطبيعة التي قضت بها إرادة الحي الذي لا يموت. الملاحظ في التصرفات الإلهية التي ذكرناها أن القرآن لم يذكر فيها بطريق مباشر بل إن الطريقة التي ذكر بها تدخل فى إطار العلم الإلهي مثل (نحن نقص عليك أحسن القصص) أو (نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) القرآن هنا مذكور كوسيط وليس كعامل مباشر ولم تذكر كلمة قرآن هنا مطلقا, الشيء الثانى أن التصرفات أعلاه كلها يدخل فيها عوامل غير مباشرة مثل الملائكة أو السنن التى نراها طبيعية مثل عملية خلق الكائنات بما قضت به مشيئته تعالى الذي لا يُسْأَلُ عما يفعل وهم يُسْأَلُون.

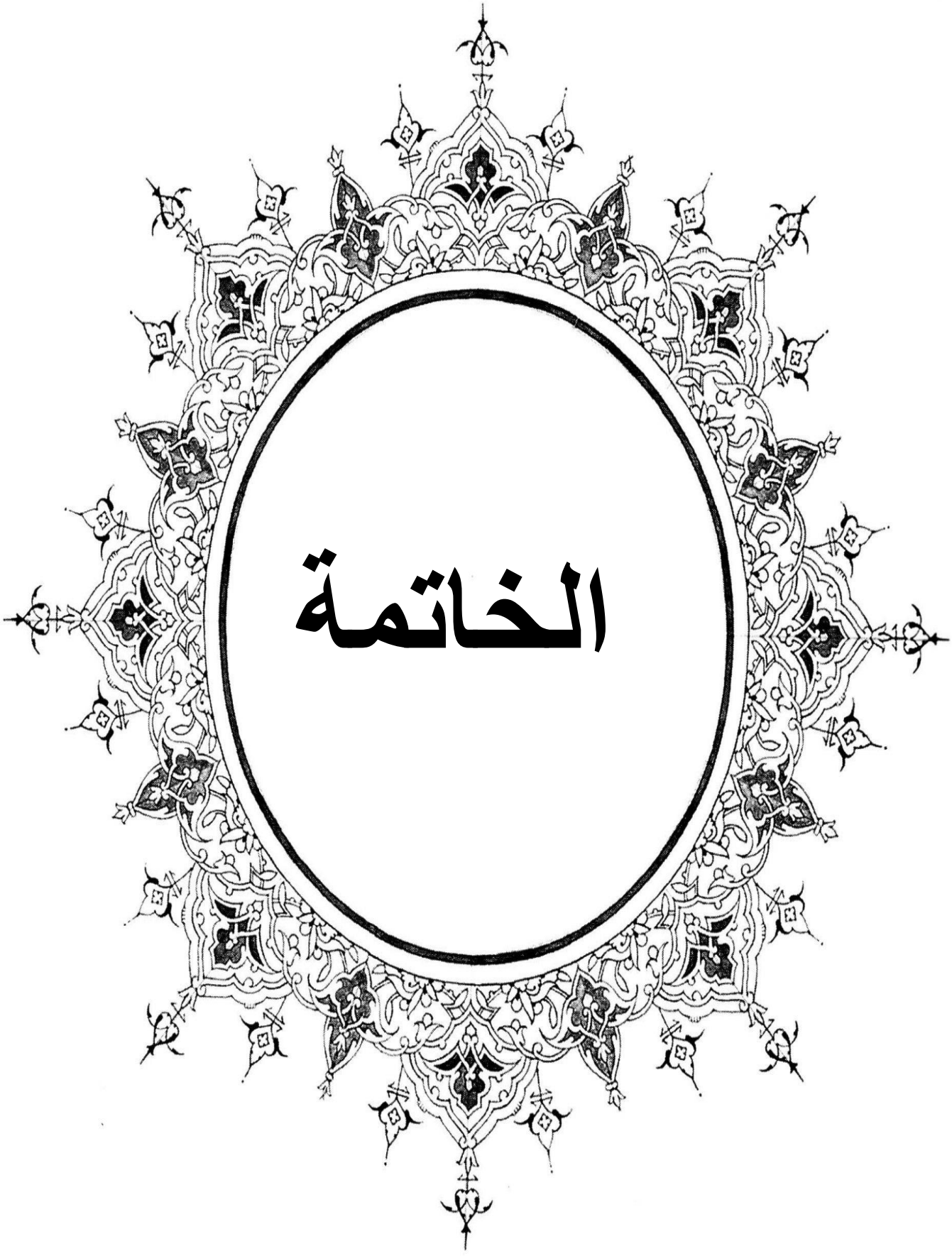
الخاتمة

الخاتمـــــــــــــة:

من خلال ما تقدم نستنتج ما يأتي:

1- يأتي ضمير العظمة "نحن" لبيان الهيبة، والمكانة العالية.

2- ضمير العظمة نحن في القرآن الكريم يأتي في مقام تعظيم الله لنفسه، وفي مقام الإيحاء إلى جنوده وملائكته الذين يعملون بأمره ما يشاء.

3- الله حينما يتكلم عن نفسه وذاته يأتي بأساليب كثيرة، فمرة يأتي بأسلوب الجمع كما في

في قوله: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}، لم يقل: أنا أنزلت، يقول النحاة: النون للتعظيم، فكل شيء يكون نتيجة فعل من أفعال الله، تأتيه " نون التعظيم".

4- حينما يتحدث عن فعله أو عمله يتحدث بصيغة الجمع، كما في قوله I : **{إنا أنزلناه في ليلة القدر}**، و**{إنا نحن نزلنا الذكر}**.فهو من باب تعظيم تعدد الصفات لا تعدد الذات فهو الواحد الأحد.

5- الحق حينما يتحدث عن ذاته في الربوبية، والألوهية، والعبادة، والتوحيد، يتحدث بضمير المفرد، ولا يأتي بضمير الجمع أبداً، لأنه يريد أن ينفي عن ذاته أنه متعدد، لأنه هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا شريك له. يدل على ذلك كثرة الآيات الواردة في محكم التنزيل من نحو قوله جل وعلا : **{إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري}**، لكنه حين يتكلم عن ذاته مجرداً عن الفعل، فإنه يتكلم عن الوحدانية، مثل قول الحق: **{إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني}**.

6- ففي مجال التعظيم والتنزيل الذي يتطلب تجلي كثير من صفاته يأتي بضمير الجمع، وفي التوحيد والتفرد ونفي الشرك، يأتي بضمير الإفراد.

7- هناك نقطة مهمة أهملها المفسرون ولم يلتفتوا إليها، وهي أن الله جل جلاله عندما يتحدث بصيغة الجمع، فهو يشمل أيضاً التعريض بفعل جنوده، ويعطيهم من المكانة ما يستحقون، ويشركهم فيما يعمل، **قال تعالى: {وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين**

فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما}.

– فقال في قتل الغلام: **{فأردنا أن يبدلهما ربهما رحمة منه زكاة وأقرب رحما}**، فجاء بالضمير مشتركًا؛ لأن العمل مشتركًا، فإنه فيه قتل غلام، وهو في ظاهر الأمر شر، وإبداله خير منه، وهو خير، فجاء بالضمير المشترك للعمل المشترك. ولا يمتنع احتمال أن يكون التعظيم لشأن المتحدث عنه أو موضوع الحديث وعلو رتبته ومقامه عند الله تعالى.

وخلاصة القول أن الله إذا تحدث عن فعل قد نفذه بأمر منه ولكن بواسطة ملائكته فيأتي الخطاب بصيغة الجمع، وذلك لأن الله صادق فيما يقول ويفعل، فلا يمكن أن يفعل الله شيء بواسطة خلقه ثم ينسبه لنفسه بالكلية، ولا يمكن أن يعمل شيئا بمفرده ثم يشرك به الآخرين. وما يؤكد رأينا أنه جل وعلا إذا فعل فعله بنفسه دونما تدخل أو وساطة من ملائكته فلا يأتي الخطاب إلا بصيغة المفرد.

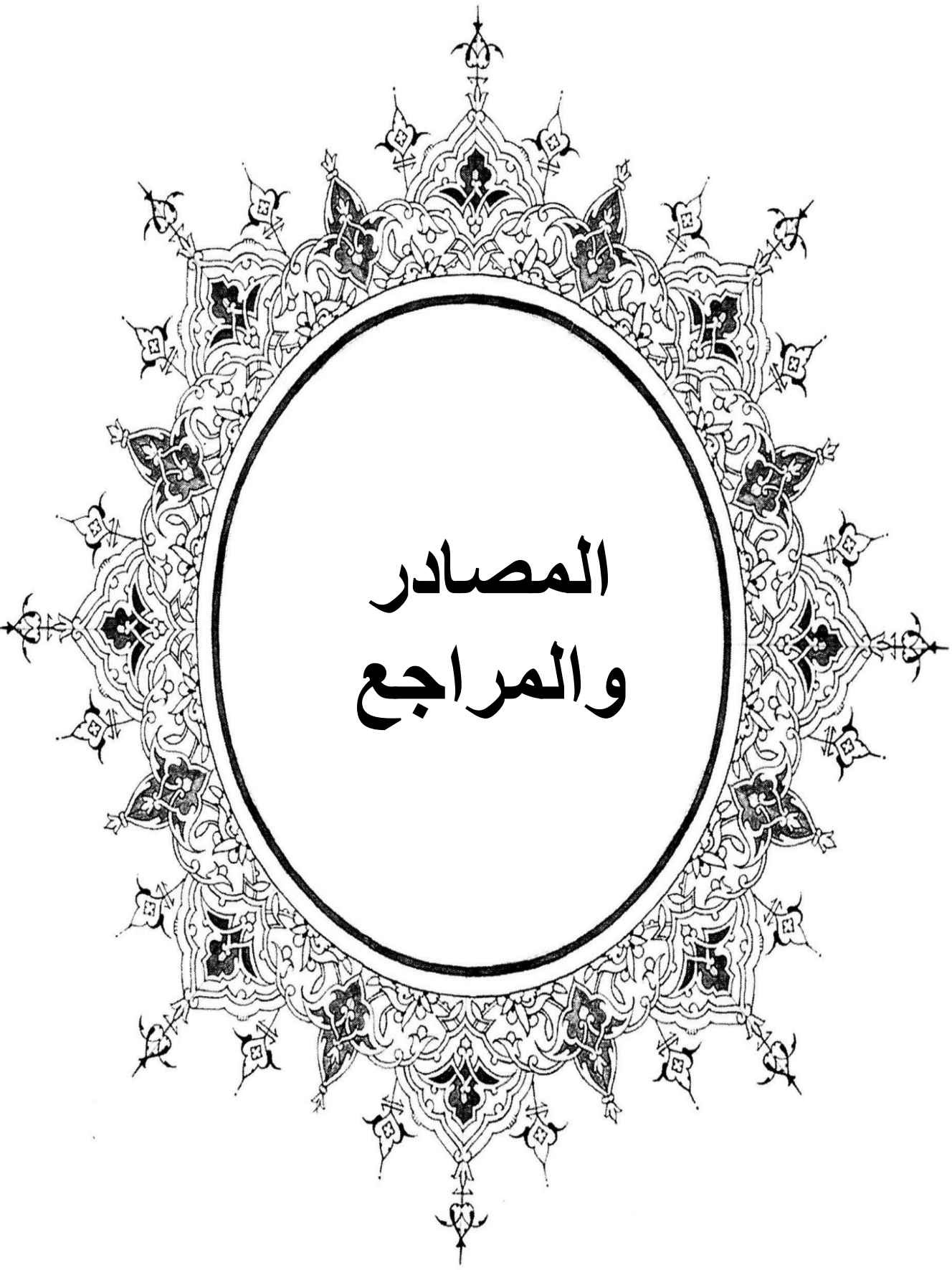

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

- القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع - رواية حفص عن عاصم - رواية قالون - رواية الدوري - رواية شعبة عن عاصم - رواية السوسي).

ثانياً: المراجع

- إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، البرهان في أصول الفقه، ط1، 2م، (حققه عبد العظيم الذيب)، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، 1979.

- ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، تقي الدين، ج10، ط1، دار الكتب العلمية، 1408-1987.

- ابن تيمية، التدمرية، ج 1، تقي الدين، ط6، تح: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان- الرياض، 1421- 2000م.

- ابن عاشور (محمد الطاهر), تفسير التحليل والتنور، ج 17, دار التونسية للنشر, تونس, د/ ط, سنة: 1984.

- ابن عاشور، إرشاد العقل السليم، تفسير أبي السعود، ج8.

- ابن عاشور، التحرير والتنوير، محمد الطاهر، ج 29، الدار التونسية للنشر، تونس، 1884م.

- ابن عقيل (بهاء الدين), شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك, تحقيق: حنا الفخاري, ج1, ط5, دار الجيل, بيروت- لبنان, سنة: 1997.

- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون 1400 هـ - 1980 م.

- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط1، 2م، (حققه محمد محي الدين عبد الحميد)، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة، مصر،1955.

- ابن يعيش (موفق الدين), شرح المفصل, تحقيق: أحمد السيد أحمد, المكتبة التوفيقية, القاهرة, د/ ط, د/ ت.

- ابن يعيش، شرح المفصل، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422ه- 2001م، ص، 326/2، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421ه): شرح ألفية ابن مالك.

- أبي بشر عمر بن قنبر سيبويه (ت 180ه)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د، ت).

- أبي حيان التوحيدي، محقق ومشروح بقلم حسن السندوبى، د/ط، د/ت، الناشر: دار الآداب، دار سعاد الصباح.

- أبو حيان، البحر المحيط،ج8، 1420، دار الفكر، بيروت، تحقيق: صدقي محمد جميل.

- أبو النجم العجلي، ديوان أبو نجم العجلي، تح: محمد أديب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1472ه- 2006م.

- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر- تونس- 1984م، ج1.

- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، د/ مترجم، د/ محقق، الطبعة الثالثة، 1429هـ - 2008م، الناشر: دار الفكر.

- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، بلد النشر: مصر، دار النشر: عالم الكتب، 1418ه، 1998م، القاهرة.

- الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993م.

- الآمدي، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، ط1، 2م، (علق عليه العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي)، دار الصميعي للنشر والتوزيع، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، 2003.

- الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، شهاب الدين، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 14.

- بالمر: علم الدلالة، تر: دكتور إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، جامعة عين شمس، 1995م.

- براون ويول، تحليل الخطاب، تر وتع: د. محمد لطفي الزليطني، د. منير التريكي، الطبعة: 1418ه- 1997م، الناشر: جامعة الملك سعود- النشر العلمي والمطابع، د. محمد خطابي، لسانيات النص.

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1412ه، ط1، مج8.

- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ط1، القاهرة – بيروت، الناشر: عالم الكتب، 1413-1993م، ص، 137/1، سيبويه، عمرو بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون،ج1، ط1، دار الجيل: بيروت- لبنان، د/ت.

- تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، الطبعة: 1994، د/ت، مطبعة النجاح الجديدة: الدار البيضاء.

- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط1، الدار البيضاء، 1994، مطبعة النجاح الجديدة.

- الجرجاني (عبد القاهر), دلائل الإعجاز في علم المعاني, تص: محمد عبده ومحمد التركزي الشنقيطي, ط2, دار المعرفة, بيروت – لبنان, 1998.

-الجرجاني، عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، ط2، (تعليق محمد رشيد رضا)، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1998.

- جمعة عوض، نظام الربط في النص العربي، ط1، عمان: دار المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، 2008م.

- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: د. عباس صادق الوهاب، ط1، بغداد،1987.

- الحاج صالح (عبد الرحمان), "المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي", في تقدم اللسانيات في الأقطار العربية, دار الغرب الإسلامي, بيروت, ط 1, 1991.

- حسان (تمام), اللغة العربية معناها ومبناها, دار الثقافة, الدار البيضاء, د/ ط, د/ ت.

- رَدّة الله بن رَدّة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق،ج1، ط1، بلد النشر: السعودية، دار النشر: جامعة أم القرى،1424، مكة المكرمة.

- الرازي، مفاتيح الغيب،ج29، التفسير الكبير، محمد(606ه)، ط1، 1401ه- 1981م، دار الفكر.

- الزمخشري (جار الله), المفصل في علم العربية, د/ ط, دار الجيل, بيروت- لبنان, د/ ت.

- الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود،ج1،ط1، 1419هـ - 1998م.

- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم، 1407،ط3، عدد الأجزاء:4، دار الكتاب العربي، بيروت.

- السبكي، علي بن عبد الكافي، الإبهاج في شرح المنهاج، ط1، 3م، (كتب هوامشه وصححه جماعة من العلماء)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1984.

- السبكي، علي بن عبد الكافي، الإبهاج في شرح المنهاج، ط1، 3م، (كتب هوامشه وصححه جماعة من العلماء)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1984، ص، 2،209، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ط2، 2م، (تحقيق أحمد عز وعناية)، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، الطبعة: 1975م، مجلد1، تر: كمال محمد بشر، الناشر: مكتبة الشباب.

- السمرقندي، علاء الدين أبو بكر محمد بن أحمد، ميزان الأصول في نتائج العقول، ط2، (حققه وعلق عليه محمد بن زكي عبد البر)، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر،1997.

- سيبويه (أبو بشر), كتاب سيبويه, تح: عبد السلام محمد هارون, ج1, ط1, دار الجيل، بيروت- لبنان, د ت.

- سيبويه (أبو بشر), كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون, الناشر: مكتبة الخانجى بالقاهرة, ج2, ط 3, السنة: 1408هـ, 1988م.

- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، 5م، (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، عالم الكتب، بيروت.

- سيبويه، عمرو بن قنبر، الكتاب،ج2، الطبعة الثالثة: 1408هـ - 1988م، بيروت: دار الجيل، الناشر: مكتبة الخانجى بالقاهرة.

- السيوطي (جلال الدين), المزهر في علوم اللغة وأنواعها, شرح وتعليق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون, دار الجيل, بيروت, د/ ط, د/ ت, ج1.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الأشباه والنظائر، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1990م.

- الشاطبي، أبو اسحق إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة،4 م، (شرح وضبط محمد عبد الله دراز)، المكتبة التجارية الكبرى، شارع محمد علي، مصر.

- الشيرازي، أبو اسحق إبراهيم بن علي بن يوسف، شرح اللمع، ط1، 2م، (حققه وقدم له ووضع فهارسه عبد المجيد تركي)،دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1988.

- الشيرازي، أبو اسحق إبراهيم بن علي بن يوسف، اللمع في أصول الفقه، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1985.

- الشيرازي، أبو اسحق إبراهيم بن علي بن يوسف، شرح اللمع، ط1، 2م، (حققه وقدم له ووضع فهارسه عبد المجيد تركي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1960.

- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتَّطبيق، ج1، ص165، سعيد حسن البحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، الناشر: مكتبة الآداب -القاهرة- الطبعة الأولى، 2005.

- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،ج1، ط:1421،1ه- 2000م، كلية الآداب - جامعة طنطا، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ط: 1992 د/ت، د/ مترجم، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، الطبعة الأولى: 1419هـ، 1998م، دار الشروق: القاهرة.

- عباس (حسن), النحو الوافي, دار المعارف, ط 3, مصر, ص، 119, والمفصل في النحو العربي, ج1, دار الكتب العلمية, بيروت, 1992.

- عباس حسن, النحو الوافي, ج1, ط3, دار المعارف, مصر, سنة 1984.

- عباس حسن، النحو الوافي، ط3، دار المعارف، مصر، سنة: 1980م.

- عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ط1، 1991.

- العبيدان، موسى بن مصطفى، دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين، (ط1)، سورية- دمشق،

- عثماني جميلة، النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين.

- عضد الملة الإيجي، شرح القاضي عضد الملة والدين لمختصر المنتهى الأصولي، ط1، (ضبطه ووضع حواشيه فادي نصيف وطارق يحي)، منشورات محمد علي بيضون، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، 2000.

- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1997،1،الجزء7.

- عيد بليغ: السياق وتوجيه دلالة النص، ص، 127، د. كريم زكي، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة.

- عيد بليغ، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، السياق وتوجيه دلالة النص، الطبعة الأولى: 1429هـ، 2008م، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى في علم الأصول، (تحقيق محمد مصطفى أبو العلا)، شركة الطباعة الفنية المتحدة، 1971.

- الفاكهي، (جمال الدين عبد الله بن أحمد)، شرح الحدود النحوية، تح: د. محمد الطيب الإبراهيم، دار النفائس، (بيروت)، ط1، 1996م.

- الفراء (يحيى بن زياد), معاني القرآن, اعتناء, فاتر محمد خليل اللبون, ط1, دار إحياء التراث العربي, بيروت, 1996.

- فندريش: اللغة، المحقق/المترجم: عبد الحميد الدواخلى محمد القصاص، الطبعة الأولى: 2014.

- فوزي عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق،ج1، مجلد1، ط1، دار المعرفة الجامعية،2011.

- - محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (المتوفى: 778ه): شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»، دراسة وتحقيق: أ. د. علي - محمد فاخر وآخرون، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، 1428هـ.

- محمد حماسة عبد اللطيف، الإبداع الموازي، الطبعة الأولى: 2001م، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، الطبعة الأولى: 1420ه- 2000م، ج1، بلد النشر: مصر، دار النشر: دار الشروق، القاهرة.

- محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار الآداب القاهرة.

- محمد حماسة، النحو والدلالة، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 2000م، ج1، بلد النشر: مصر، دار النشر: دار الشروق، القاهرة.

- محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، الطبعة الأولى: 1991، دار النشر: المركز الثقافي العربي.

- محمد مفتاح، دينامية النص تنظير وإنجاز، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، المغرب، الدار البيضاء، 1987.

- محمد صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، المجلد1، دار ابن الجوزي.

- محمد علي طر الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، المجلد2، دار ابن كثير.

- محمود السعران, علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.

- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط، ط1، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، 1997م.

- مصطفي حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، معهد اللغة العربية - جامعة الملك مسعود-، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 1997.

- المعجم الوسيط

- منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، ج1، ط1، بلد النشر: المغرب، دار النشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004م.

- هناء محمود إسماعيل، النحو العربي في ضوء لسانيات النص، ط1، بيروت- لبنان، ج1، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: 2012م.

- هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، ترجمة وتعليق الدكتور محمد العمري، بيروت- لبنان، 1999.

- الهيشري (الشاذلي) الضمير: بنيته ودوره في الجملة, كلية الآداب, تونس, د/ ط, سنة: 2003.

ثالثاً: المعاجم

- الزّبيدي، تاج العروس،ج11، تح: محمود محمد الطناحي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1976م.

- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711ه): لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، ط3، 1414ه، مادة (ض م ر).

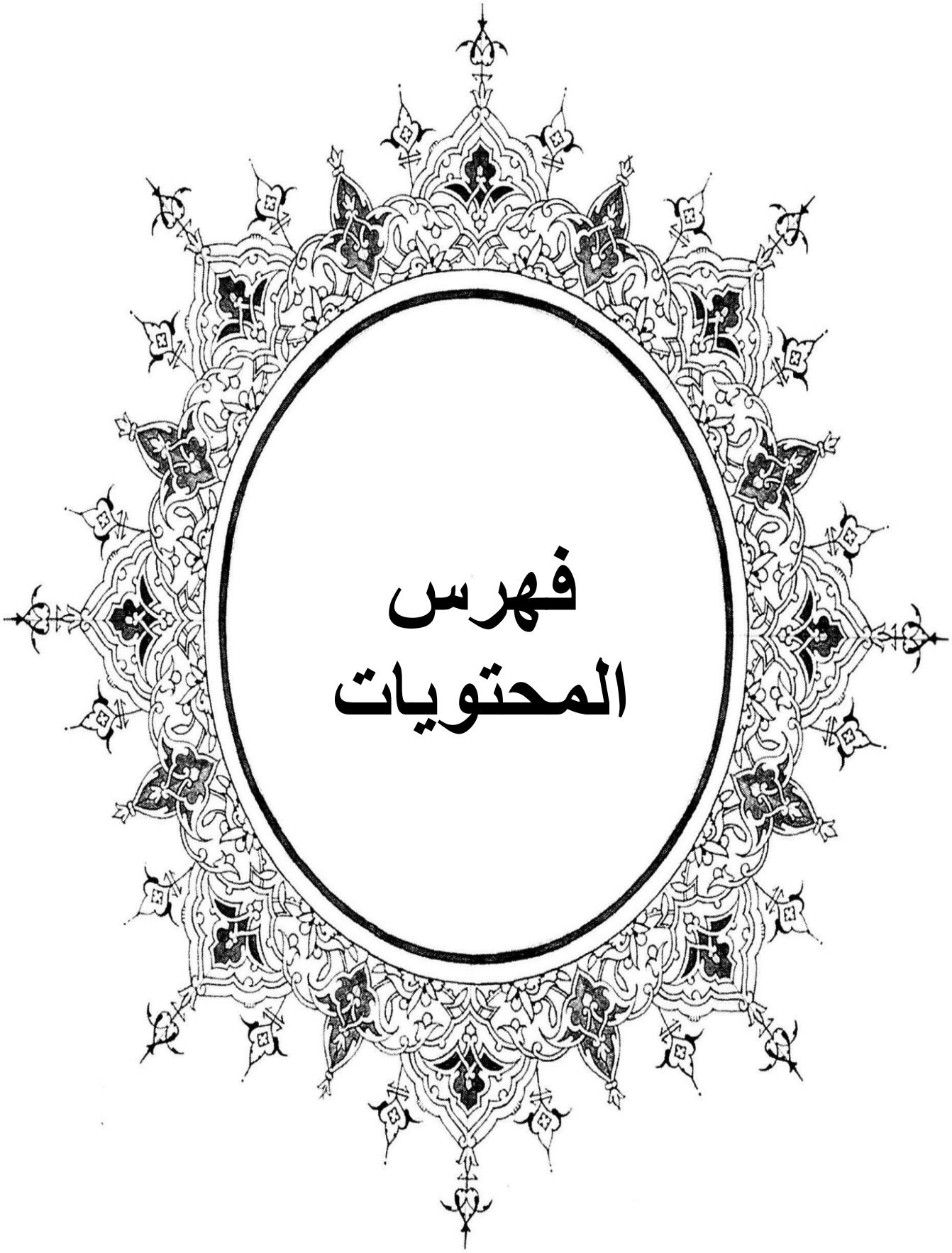

فهرس المحتويات

شكر وعرفان	
ملخص البحث	
مقدمة	
الفصل الأول: مفاهيم عامة < الضمير في اللغة العربية>:	
تمهيد	
التعريف بالضمير، وأقسامه، ووظيفته	
أقسام الضمير	
وظيفة الضمير	
أما الضمير المنفصل نحن	
الضمير نحن في القرآن الكريم	
معاني الضمير	
الضمير من حيث الوضع	
الضمير في اللسانيات الحديثة	
صور التشكلات الإحالية بالضمير	
السياق (Contexte)	
الضمير وخصائصه التركيبية	
الفصل الثاني: دراسة نحوية دلالية للضمير" نحن " في القرآن الكريم:	
صيغة المفرد والجمع في الخطاب القرآني	
خاتمة	
قائمة المصادر والمراجع	

مستخلص البحث:

موضوع هذه الدراسة هو: ضمير المتكلم (**نحن**) المتعلق بالذات الإلهية وسياقات وروده وجملة دلالاته بحسب تنوع هذه السياقات، من خلال نماذج من آي الذكر الحكيم وكان من نتائج هذه الدراسة أن وقفنا على حقيقة ما في القرآن الكريم من وجوه إعجازية تجلت من خلال دلالات الضمير "نحن" وما صحبه من قرائن سياقية غاية في البلاغة والكمال، فلئن تضمن الضمير دلالة الجمع والتعدد لم ينتف معه معنى التوحيد والتعظيم للذات الإلهية، وارتبط معنى التعدد بالأعمال والصفات لا بذاته تعالى، حيث غدت سياقات التعظيم لهذه الصفات دليلا على الوحدانية والكمال لله الواحد الأحد. كما وقفنا على حقيقة أن القرآن ولو أنه أنزل على سنن العربية فهو حجة تتخطى القول والتقدير البشري لتؤكد مدى الإعجاز والكمال في لغة القرآن الكريم الذي يتأبى عن الشبه والنضير.

الكلمات المفتاحية: الضمير، السياق، التعدد، الصفات، الأعمال، التعظيم، التوحيد، القرائن، الدلالات.

Abstract:

The subject of this study is: The pronoun of the speaker (we) related to the divine self and the contexts of its emergence and the totality of its connotations according to the diversity of these contexts, through examples of the verses of the holly Quran. "We" and the contextual evidence accompanying it are the ultimate in eloquence and perfection, so while the pronoun includes the connotation of pluralism, the meaning of monotheism and glorification of the divine subject is not negated with it, and the meaning of pluralism is associated with actions and attributes, not by the Almighty itself, as the contexts of veneration for these qualities have become evidence of the oneness and perfection of the one and only God. We have also come to terms with the fact that the Qur'an, even if it was revealed to the rules of Arabic ,(سنن العربية)is an argument that goes beyond human speech and appreciation to confirm the extent of miracles and perfection in the language of the Noble Qur'an that refuses to resemble and reproduce.

Keywords:

pronoun , context, pluralism, attributes, actions, glorification, oneness, connotations.